مرجعيات ٣

التجربة النضالية الفلسطينية

حوار شامل مع

جورج حبش

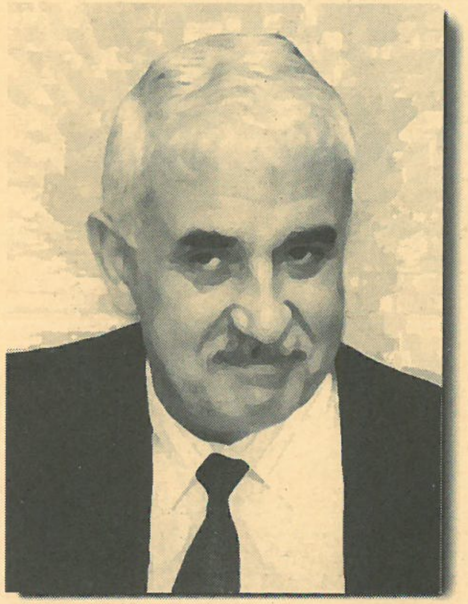

أجرى الحوار
محمود سويد

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة عربية مستقلة تأسست عام ١٩٦٣ غايتها البحث العلمي حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني. وليس للمؤسسة أي ارتباط حكومي أو تنظيمي، وهي هيئة لا تتوخى الربح التجاري.

وتعبّر دراسات المؤسسة عن آراء مؤلفيها، وهي لا تعكس بالضرورة رأي المؤسسة أو وجهة نظرها.

شارع أنيس النصولي ـ متفرع من شارع فردان

ص. ب: ٧١٦٤ ـ ١١. بيروت ـ لبنان

هاتف: ٨٠٤٩٥٩. فاكس: ٨١٤١٩٣

هاتف/ فاكس: ٨٦٨٣٨٧

E-mail: ipsbrt@cyberia.net.lb

INSTITUTE FOR PALESTINE STUDIES

Anis Nsouli Street, Verdun

P.O.Box: 11-7164. Beirut, Lebanon

Tel. 804959. Fax: 814193

Tel. & Fax: 868387

E-mail: ipsbrt@cyberia.net.lb

A
956.94
H113t

التجربة النضالية الفلسطينية

حوار شامل مع

جورج حبش

أجرى الحوار
محمود سويد

LAU LIBRARY - BEIRUT
27 JAN 2004
RECEIVED

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

IPS 58077

Al-tajribah al-niḍālīyah al-filasṭīnīyah: ḥiwār shāmil maʻ George Ḥabash
Ajrá al-ḥiwār: Maḥmūd Suwayd

The Palestinian Struggle in Practice: an interview with George Habash
Interviewed by Mahmoud Soueid

© حقوق الطباعة والنشر محفوظة

الطبعة الأولى – بيروت
نيسان/أبريل ١٩٩٨

المحتويات

تقديم XI
البدايات ١
حركة القوميين العرب ١٤
تجربة الكفاح المسلح وحقبة م. ت. ف. : الجبهة الشعبية لتحرير
فلسطين ٣١
ـ الانتفاضة ٣٦
ـ خطف الطائرات والمدنيين ٤٣
ـ تجربة المقاومة في الأردن ولبنان ٤٧
ـ العمل العسكري من خارج فلسطين ٥٥
مرحلة مدريد/ أوسلو : التسوية وآفاقها ٦٤
ـ أي دور لفلسطينيي الشتات؟ ٧٢
القضية الفلسطينية والعرب ٧٨
ـ آثار حرب الخليج الثانية ٨١
ـ العلاقة بالقوى الإسلامية ٨٧
القضية الفلسطينية والعالم ٩١
المستقبل ٩٤
خلاصات ١٠٦

تَقديم

في مكتب متواضع في الطبقة الأرضية من مبنى قديم في أحد أحياء دمشق، دار هذا الحديث مع الدكتور جورج حبش أيام ٢٣ و٢٤ و٢٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٧.

تَعْبُر إلى المكتب من باحة خارجية ترتفع على جُدُرها صور شهداء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وصورة لغسان كنفاني، وأُخرى للرئيس الكوبي فيدل كاسترو.

تجلس في صدر القاعة الفسيحة في انتظار «الحكيم»، وفي الطرف الآخر مكتبه، وعلى الجُدُر صور لينين وغيفارا والخميني، وخريطة فلسطين، وصورة المسجد الأقصى، وإعلان الاستقلال. وبينما تحاول أن تقرأ وتربط وتبحث عن تفسير لما يمكن أن يترابط أو لا يترابط في هذا المشهد الجداري، يطل «الحكيم» متكئاً على عصاه. وعلى الرغم من حالة المرض البادية، فإنه لا تفوتك ملاحظة حيوية ونشاط يشجعان على أن يكون الحديث صريحاً ومن دون مداراة.

تبدأ رحلتنا مع جورج حبش بتحديد البيئة التي نشأ فيها، والظروف التي أثّرت في تكوينه العلمي والثقافي والسياسي: في اللد، ويافا، والقدس، ثم في الجامعة الأميركية في بيروت حيث

درس الطب، ثم العودة إلى اللد (١٩٤٨) ليخرج منها، بعد أيام صاخبة، مشرَّداً يقاسم شعبه اسمه الجديد: اللاجئون الفلسطينيون، ويبدأ مسيرة سياسية ونضالية ارتبطت ـ في مختلف مراحلها ـ باسمه، ولا تزال.

يراجع جورج حبش تجربة «حركة القوميين العرب»، ويستخلص دروسها وأهمها: ضرورة اعتماد استراتيجيا المراحل ومراكمة الإنجازات، وضرورة الترابط بين القومي والقطري، والتشديد على المضمون الاجتماعي وعلى الديمقراطية. ويراجع تجربة الكفاح المسلح وحقبة منظمة التحرير الفلسطينية، والانتفاضة وعلاقتها بالمقاومة خارج الأراضي المحتلة، والتزام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الفكر الماركسي، وعلاقات اليمين واليسار ضمن الحركة الوطنية الفلسطينية. ويؤكد حبش استمرار التزامه الاشتراكية، وإنْ كان يفهمها الآن فهماً مختلفاً عن الماضي.

ويواجه الدكتور حبش الأسئلة الصعبة التي تطرحها الفترة الحرجة في النضال الفلسطيني: العنف ضد المدنيين؛ خطف الطائرات؛ أحداث الأردن ١٩٧٠ ـ ١٩٧١؛ أحداث لبنان التي بدأت مع تدفق الفدائيين الفلسطينيين القادمين من الأردن، ولم تنته بخروج رجال المقاومة سنة ١٩٨٢.

يعرض «الحكيم» رؤيته لاتفاق أوسلو الذي يعتبره محصلة الهزائم العربية والفلسطينية المتراكمة، بالمعنى الشامل لا العسكري فقط، أي قصور مجتمعاتنا المتخلفة عن تلبية متطلبات الصراع ضد عدو متقدم. لكنه يجيب عن السؤال: هل كان هناك خيار آخر؟

بـ «نعم»: التمسك بالشرعية الدولية؛ التركيز على الوحدة الوطنية الفلسطينية؛ دعم الانتفاضة؛ التنسيق العربي ورفض الحلول المنفردة. ومع ذلك فهو يقبل بالحل المرحلي إذا كان ممكناً.

وينتقد حبش تجربة السلطة الفلسطينية في مناطق الحكم الذاتي. ويعالج مسألة العلاقة بالقوى الإسرائيلية المؤيدة للسلم مع العرب. ولا يوافق على أن تقيم الجبهة الشعبية ـ حتى الآن ـ علاقات مع هذه القوى، لكنه يتفهم أن تقيم قوى فلسطينية أُخرى مثل هذه العلاقات. ولا يرى إمكان قيام إسرائيل غير صهيونية مندمجة في المنطقة. والحل النهائي في رأيه: فلسطين دولة ديمقراطية، يتمتع مواطنوها جميعاً بحقوق متساوية.

ويتحدث عن دور فلسطينيي الشتات، وعن منظمة التحرير الفلسطينية كمرجعية وطنية عامة ومعبّرة عن وحدة الشعب. ويرى أن قوى المعارضة الفلسطينية غير قادرة على إعادة قراءة التجربة السابقة قراءة نقدية عميقة.

وفي علاقة القضية الفلسطينية بمحيطها العربي، يحمّل «الحكيم» قيادة عرفات مسؤولية الانحراف القطري و«تحرير العرب من القضية الفلسطينية.» ويرى أن هذه القضية هي قضية عربية، وأن نجاح الأمة العربية في التصدي للخطر الصهيوني مرهون ومشروط بتقدمها في مختلف المجالات السياسية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية. ويقدم تصوراً جديداً للوحدة العربية يقوم على التراكم والتكامل، والوحدات الصغيرة: مصر والسودان؛ دول المغرب؛ الهلال الخصيب؛ دول الخليج.

ويناقش مسألة العلاقة بين التيارين القومي والإسلامي في الوطن العربي. ويصنّف القوى الإسلامية: قوى أصيلة في المجتمع، وقوى ذات ارتباطات مشبوهة. ويرى أن تقوم العلاقات بالقوى الأولى على أساس الديمقراطية وحرية العمل الفكري والسياسي والاجتماعي والإعلامي والتنظيمي في المجتمع، وأن يتم التحالف معها في الصراع ضد إسرائيل. ويتحدث عن تجربة «المقاومة الإسلامية» و«حزب الله»، ويرى أن الكفاح المسلح شكل من أشكال النضال قد يتكرر إذا نشأت معطيات تتيح ذلك.

ويحلل جورج حبش دور الاتحاد السوفياتي السابق في نصرة القضية الفلسطينية، ويرى أن الوضع ما كان ليكون بهذا السوء لو بقي الاتحاد السوفياتي قوة عالمية متماسكة وفاعلة. ومهما يكن، فإن النضال العربي يستهدف موقعاً إمبريالياً هو إسرائيل، لا الإمبريالية في كل مواقعها. وسيتيح عالم متعدد الأقطاب فرصاً أفضل لهذا النضال.

ويتحدث حبش عن أسباب انتصار المشروع الصهيوني وأسباب الهزيمة العربية، وعن تكوين المجتمع العربي وشروط انتصاره، وأولها أن تصبح الديمقراطية نهجاً للحياة العربية في مختلف الميادين وعلى كل المستويات. ويعترف بأننا لم نستعمل عقلنا كما يجب وبما فيه الكفاية. قاتلنا بسواعدنا أولاً، وبقلوبنا ثانياً، لأننا آمنا بأننا على حق.

يدعو حبش الشباب إلى امتلاك الوعي والعلم والمعرفة كأدوات من دونها يستحيل التقدم، وإلى وعي العدو وإدارة الصراع ضده باستخدام العقل والفعالية الفكرية الدائمة والتجديد المستمر

للعقل والذات والرؤية والممارسة ومناهج العمل وأطره، وإلى وعي الديمقراطية كأداة نهوض وقيمة سلوكية. فالمجتمع الحر هو القادر على تحديد الأهداف والنضال لتحقيقها.

وأخيراً،

ليس هذا الحوار **تأريخاً** لحركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة، بكل ما عرفت من قوى وأحداث طوال نصف قرن ونيف، ولا هو **مذكرات** لها نسيجها الخاص وأسلوبها المعروف.

ولا نسعى في هذا الحوار ـ ولا في غيره من حوارات هذه السلسلة ـ لمناقشة أفكار الشخصيات التي نستضيف، ولا لتقويم تجربتها، وإنْ كنا نستثير فيها كوامن النقاش وحوافز التقويم. ويقتصر دورنا ـ كما جاء في مقدمة الكتاب الأول من هذه السلسلة ـ على «نقل خلاصة تجاربها وما يدور في رؤوسها من آراء وأفكار إلى مساحة أوسع للنقاش»، وعلى «فتح المجال الرحب للدخول إلى عوالمها الفكرية واستخلاص تجاربها الغنية... اعتقاداً منا أن الحاجة ماسة في هذه المرحلة إلى تعدد المساهمات الفكرية وتنوعها، وإطلاق الحوارات الجادة على أوسع نطاق، لإخراج الحياة العربية ـ والقضية الفلسطينية في القلب منها ـ من مأزقها التاريخي الراهن.»

وبكلام آخر: إن هذه المساحة من الصفحات مخصصة للضيف الذي نحاور، يملؤها بعصارة تجربته، يراجع ويستكشف، يتحدث إلى الأجيال الصاعدة، يخاطب المستقبل متسلحاً بعبر الماضي،

وبالقراءة الناضجة لأحداث الحاضر.

الحوار مقسّم - مبدئياً - إلى قضايا أساسية، لكنه يتداخل أحياناً، باستطراد من هنا، وسؤال استلحاقي من هناك؛ وعلى هذا فهو يؤخذ ككل. والبحث لا يتناول بتوسع كل موضوع مثار، فذلك يتطلب مجلداً أو مجلدات تفيض كثيراً عما تتسع له هذه الصفحات. فليُفهم هذا الحوار، إذاً، على أنه إثارة لقضايا، وحفز لنقاش.

من هو جورج حبش اليوم؟

«أنا ماركسي. يساري الثقافة. التراث الإسلامي جزء أصيل من بنيتي الفكرية والنفسية. معنيّ بالإسلام بقدر أية حركة سياسية إسلامية. كما أن القومية العربية مكوّن أصيل من مكوناتي...

«إنني في حال انسجام مع قوميتي العربية، ومسيحيتي، وثقافتي الإسلامية، وماركسيتي التقدمية.»

هل يشكل هذا مدخلاً إلى عالم جورج حبش الفكري والنضالي؟

محمود سويد

بيروت، ١٠/٤/١٩٩٨

البدايات*

■ كم كان عمرك عندما غادرت اللد، وماذا تتذكر من أعوامك فيها؟

□ غادرت اللد مرتين: أول مرة إلى يافا بعد إنهاء دراستي الابتدائية، وكان عمري وقتها ثلاثة عشر عاماً. كنت حينها إنساناً ذا مشاعر وطنية، مجرد مشاعر وطنية عامة؛ وما زلت أتذكر التظاهرات والإضرابات التي كان ينظمها المواطنون الفلسطينيون.

■ يعني في فترة الثورة الكبرى؟

□ نعم، نعم. أتذكر التظاهرات والشعارات التي كانت في ذلك الوقت تتركز ضد الإنكليز. كان هناك شعاران أساسيان ما زلت أذكرهما جيداً: «يسقط الاستعمار» و«يسقط وعد بلفور». في أثناء الدراسة، كان مدير مدرستنا الابتدائية - وما زلت أذكر اسمه، توفيق أبو السعود - وطنياً متحمساً. في إحدى المرات نشب شجار بين الصغار، فقال لهم معنِّفاً: «أطردوا اليهود بدلاً من أن تتقاتلوا.» وأذكر أنه كان هناك مستعمرة قريبة من اللد. وفي أحد الأيام طلب منا أستاذ مادة الحساب قائلاً: قفوا دقيقة صمت. لم أكن أعرف ما الموضوع، وأتصور أن التلاميذ كلهم في حينه لم يكونوا على علم

* العناوين الرئيسية والفرعية للمحرر.

بالموضوع. لكن بعد الوقوف دقيقة صمت، قال: «في هذه اللحظة، هناك شباب فلسطينيون يعلَّقون على المشانق، لأنهم يناضلون من أجل وطنهم.» لقد تأثرت بهذا الحدث كثيراً في ذلك الوقت.

لم أكن في ذلك الوقت سوى مواطن عادي، ولم أكن أفكر في السياسة. كنت وطنياً بصورة عامة. هذا ما أذكره عندما غادرت اللد أول مرة.

في يافا التحقت بالمدرسة الأورثوذكسية، وبقيت فيها حتى الصف الثاني الثانوي. وهنا أذكر أستاذاً لبنانياً، اسمه مُنح خوري من الجنوب اللبناني، كان يعلمنا اللغة العربية. لقد ترك انطباعاً قوياً في نفسي، وكانت اللغة العربية بالنسبة إليه عالماً محبباً، وكان يقرأ الشعر كأنه يغنّيه. أذكره جيداً، وما زلت أحبه حتى الآن. وقد التقيته بعدها في بيروت عندما ذهبت للالتحاق بالجامعة، ثم عرفت أنه غادر إلى الولايات المتحدة.

في المدرسة الأورثوذكسية في يافا لم تكن صفوف المرحلة الثانوية كلها متوفرة، فاضطررت إلى الانتقال إلى مدرسة ثانوية في القدس اسمها «ترّاسنتا». بعد إنهاء الدراسة الثانوية في القدس، عدت إلى يافا وقمت بالتدريس عامين، ثم توجهت سنة ١٩٤٤ إلى بيروت للالتحاق بالجامعة الأميركية. وكنت ـ في يافا ـ أتردد على النادي الأورثوذكسي، وأقرأ المجلات التي كانت تأتي من مصر؛ كنت أتابع بصورة عامة الموضوعات الثقافية والأدبية.

■ كيف كان جو العائلة؟ الوالد ماذا كان يعمل؟ الإخوة؟ هل أنت من عائلة موسرة؟

□ نعم. كان والدي يملك دكاناً صغيراً، وكان منصرفاً إلى عمله في التجارة. وعندما انتقلنا إلى يافا أصبح دكانه أكبر، وصار فيما بعد يعتبر تاجراً. كان بصورة عامة إنساناً وطنياً، من دون الاهتمام بقضايا محددة ومباشرة. لكن شقيقي ـ وكان يعمل مع والدي ـ كانت لديه مشاعر وطنية واضحة، وكنت ألاحظ أنه يتابع أخبار الثوار ضد الإنكليز باهتمام.

■ العائلة إلى أين ذهبت؟

□ غادرت يافا إلى اللد حين احتُلَّت يافا. وبعد احتلال اللد غادرنا إلى رام الله، ثم ذهبت العائلة منها إلى عمان، وذهبت أنا إلى بيروت لمتابعة دراستي في الجامعة الأميركية.

■ كيف كانت أعوامك الأولى في الجامعة؟

□ كنت طالباً متفوقاً، أهتم جيداً بدروسي، وفي أوقات الفراغ أمارس هواياتي، وخصوصاً السباحة. كنت أحياناً أغنّي، فقد كان صوتي جميلاً. ولم يكن يخطر ببالي أن السياسة ستشغلني، وستملأ كامل مساحة حياتي.

■ ومتى دخلت السياسة عليك؟

□ لقد أثّر فيّ بعض المحطات الرئيسية: توقفتُ عند قرار التقسيم،

وكان من الصعب عليّ تصور تقسيم وطني فلسطين. ثم جاء طرد الفلسطينيين من شمال فلسطين، وبدأتْ تراودني أسئلة من نوع: الأمة العربية كبيرة وعظيمة، فكيف يمكن أن يهزمها بعض العصابات؟

ظل هذا وضعي حتى بداية العام الدراسي الرابع في الجامعة، أي الثاني في تخصص الطب. وفي أحد الأيام، جاءني صديق من الجامعة اسمه معتوق الأسمر (من نابلس) وقال لي: هناك أستاذ - يقصد الأستاذ قسطنطين زريق - ينظم حلقات ثقافية صغيرة مغلقة، يتحدث فيها إلى عدد محدود من الطلاب (٢٠ - ٢٥ طالباً) عن القومية العربية، وعن الأمة العربية وكيف يجب أن تنهض. وعرض عليّ فكرة حضور تلك الحلقات.

■ **كانت محاضرات توعية فقط، أم كان هناك رابط تنظيمي؟**

□ كانت محاضرات للتوعية وإثارة النقاش، ولم يكن هناك أي رابط تنظيمي. وكي أكون دقيقاً، في ذلك الوقت قال لي معتوق: هناك شخص اسمه رامز شحادة (كان قد تخرج من الجامعة) أريد أن نلتقيه ونتحدث في موضوع الوحدة العربية وإنقاذ فلسطين والسبل إلى بلوغهما. لكنني كنت حينها عازماً على العودة إلى اللد، فلم يتم هذا اللقاء.

■ **تعود إلى اللد؟ من أجل ماذا؟**

□ كان ذلك في نهاية حزيران/يونيو ١٩٤٨. كانت الهجرة من

فلسطين على أشدها، وانتهى العام الدراسي وأُقفلت الجامعة. قلت في نفسي: يجب أن أذهب إلى فلسطين، وإلى اللد بالذات؛ فقد طردت القوات الصهيونية الناس من يافا فجاؤوا إلى اللد. لكن أهلي طلبوا مني البقاء في بيروت، وأرسلوا إليّ مالاً؛ فوالدي كان موسراً، وكانت أمي تخاف عليّ كثيراً جداً.

فاجأ وصولي إلى اللد الأهل، وقالت لي أمي: ماذا تريد أن تفعل يا ولدي؟ وقال لي شقيقي: ماذا تستطيع أن تفعل؟ وفكرت: هل في إمكاني أن أقاتل؟ لقد بدأت دراسة الطب وأستطيع المساعدة في هذا المجال. وكان في مستشفى اللد طبيب من عائلة زحلان، فأخذت في العمل إلى جانبه ومساعدته.

■ **كيف كان الوضع في اللد في ذلك الوقت؟**

□ كانت اللد، كغيرها من المدن والقرى الفلسطينية، تعيش حالة من الارتباك الشديد والقلق. كانت الطائرات تُغير وتروّع الناس، والبلدة تغص بالمهجَّرين من بعض المناطق القريبة التي هاجمتها العصابات الصهيونية قبل أن تهاجم اللد. كان هناك لجنة اسمها اللجنة القومية (فرع اللد) برئاسة الحاج أمين الحسيني، دعت مثل غيرها من الهيئات الوطنية الناس إلى عدم الرحيل، بل حتى كانت تحاول منع الناس من المغادرة. وكان بعض الناس، المطمئنين إلى وجود قوة من الجيش العربي في موقع قريب من البلدة، يعتقد أن هذه القوة ستحول دون سقوط اللد. وما حدث هو أن القوات اليهودية شنت هجومها الكبير ودخلت اللد.

■ **أين كنت في هذا الوقت؟**

□ كنت في المستشفى أساعد الدكتور مصطفى زحلان. كان الهلع والخوف يعمّان البلدة، وكان الجرحى من المقاتلين والأهالي يملأون المستشفى؛ كان الوضع رهيباً وقاسياً.

كنت منهمكاً في عملي، عندما جاءت خالة أمي إلى المستشفى تسأل عني. وعندما التقيتها طلبت مني أن أعود إلى البيت لأن أمي خائفة عليّ. رفضت العودة، وأصرّتْ، فأصررت بدوري. عند ذاك قالت لي: أختك توفيت؛ أختي الكبيرة التي أحبها كثيراً (الحكيم يتذكّر ويغالب الدموع كأن ذلك حدث في الأمس ـ يسود الصمت لحظات قبل أن يكمل). وفي الطريق إلى البيت شاهدت الناس في الطرقات في حالة من الذعر الشديد، وكان القتلى والجرحى الذين أعرف بعضهم ممددين على جوانب الطرق.

قمنا بدفن أختي قرب البيت، إذ تعذّر الخروج إلى المقبرة. ولم يكد يمر أكثر من ثلاث ساعات حتى داهم المقاتلون اليهود المنزل وراحوا يصرخون بنا: «برّة، برّة، أخرجوا». خرجت وأمي وأولاد أختي ـ وبينهم طفلة صغيرة حملناها ـ وأقارب وجيران. لم نكن نعرف إلى أين نذهب. كان الجنود اليهود يقولون لنا: إمشوا. وكنا نمشي. كان يوماً حاراً، من أيام شهر رمضان. كان بعضُ مَنْ حولنا يقول هذا هو يوم القيامة، وآخرون يقولون: هذه جهنم. وصلنا إلى آخر البلدة حيث أقيم مركز يهودي كبير لتفتيش

المغادرين. لم يكن معنا أي سلاح. ويبدو أن ابن جارنا، واسمه أمين حنحن، كان يخبىء بعض المال، فلم يقبل أن يفتشوه. عندها أطلق جندي صهيوني النار عليه أمامنا فقتله. واندفعت والدته وشقيقته نحوه وقد علا نحيبهما. شقيقه الأصغر منه، بشارة، كان صديقي وزميلي في المدرسة الابتدائية، وكنا ندرس ونلعب معاً.

(للمرة الثانية يستبد الحزن الغاضب بالحكيم، ويغالب الدموع النافرة من عينيه وهو يستحضر المشهد: حالة الرعب والهلع، القتلى والجرحى على الطرقات، القتل البارد لابن الجيران...).

تسألني لماذا اخترت هذا الطريق؟ لماذا صرت قومياً عربياً؟ هذه هي الصهيونية، وبعد ذلك يتحدثون عن السلام؟ هذه هي الصهيونية التي عرفتها ورأيتها.

■ **هل كان هناك مقاومة قبل سقوط اللد؟**

□ بالتأكيد كان هناك مقاومة. كنت أرى الفرح في عيون الشباب وهم يقولون: إن القتال كان جيداً اليوم. حتى في أثناء الرحيل، كان هناك مقاومة.

■ **هل غادر كل أهل اللد؟**

□ غادر معظمهم، وبقي الذين كانوا بعيدين عن خطوط القتال. أمّا أولئك الذين غادروا فقد أخرجتهم القوات اليهودية بالقوة؛ كانت تدفعهم بأعقاب البنادق وتحت التهديد بالقتل.

■ البيت في اللد، ماذا تعرفون عنه؟

□ سمعت في شأنه روايتين: الأولى أن إسرائيل حافظت عليه باعتباره «منزل جورج حبش»، والثانية تقول إن عائلة يهودية تقيم به.

■ خرجتم من اللد، إلى أين؟

□ إلى رام الله. هناك قلت للأهل: لن أعود إلى الجامعة، ولا أريد إكمال الدراسة. كانت تدور في رأسي تفاعلات صاخبة: كنت أريد كتابة رسالة إلى الأمم المتحدة تتحدث عن الوضع، ورسالة إلى دودج، رئيس الجامعة الأميركية، أقول له فيها: كيف تتحدثون عن الحريات وحقوق الإنسان وتؤيدون إسرائيل بهذا الشكل. كنت أفكر كيف وماذا يجب أن نفعل ضد إسرائيل، كيف سنعود إلى اللد؟

كنت طوال الوقت أفكر في هذا الموضوع. لكن الوالدة، وكنت أحبها كثيراً، قالت: «يا إمي، الله يرضى عليك لازم ترجع إلى الجامعة.» كانت تحلم بأن أصبح طبيباً، وكان مركز الطبيب الاجتماعي في ذلك الوقت مهماً جداً. أمّا والدي فكان يطلب مني أن أنضم إليه وإلى شقيقي للعمل في التجارة، لكنني لم أكن معنياً بذلك. واستقر الرأي على أن أغادر رام الله إلى بيروت لأتابع الدراسة في الجامعة.

■ هل علّمك د. زريق؟

□ كلاّ. شاركت فقط في نحو عشر ندوات تحدث فيها. وكنت التقيه لأخذ موافقته على برنامج المحاضرات الذي كنا نعدّه، ومن هنا تفاعلي معه وتأثري به. كان نشاطنا في «العروة الوثقى» ثقافياً

في الأساس، لكنه متأثر بالأجواء التي سادت المنطقة بعد النكبة؛ لقد أدركنا أن ما حدث كان هزيمة.

عقدنا أول اجتماع لـ «العروة الوثقى»، وكنت قد انتُخبت نائباً للرئيس قبل مغادرتي إلى اللد. كان إدمون قبلاوي (سوري) هو الرئيس، وكان منهمكاً في الإعداد للماجستير (MA)، فترك لي موضوع الاهتمام بنشاطات «العروة الوثقى». كان في برنامجنا أن ننظم سلسلة محاضرات، وهو ما يستدعي أخذ الموافقة من الدكتور زريق، رئيس الجامعة بالوكالة في ذلك الوقت؛ فكان يقول لي بهدوئه المعهود: «يا ابني شوي، شوي». لقد تأثرت كثيراً بشخصية الدكتور زريق.

■ هل تذكر أسماء دعوتموها لإلقاء محاضرات؟

□ كان أول من استقبلناه الشاعر عمر أبو ريشة، ثم أذكر كمال جنبلاط.

■ كم عاماً أمضيت في الجامعة بعد العودة من اللد؟

□ ثلاثة أعوام، الثالث والرابع والخامس في كلية الطب.

■ من تتذكر من زملاء الدراسة؟

□ هاني الهندي، وديع حداد، أحمد الخطيب، صالح شبل، حامد الجبوري، وآخرين كثيرين.

■ هل كنت تهتم بنشاطات أُخرى؟

□ ركزنا على النشاط الطالبي العام في لبنان كله، لا في الجامعات

فقط. كنا نلتقي بصفة ممثلين للطلاب القادمين من كل المناطق اللبنانية؛ أي كنا حركة طالبية ذات نشاط سياسي.

■ **هل كان ممثلو الطلاب منتخبين؟**

□ كلا، لم يكن هناك انتخابات.

■ **هل كنت تفكر في عمل يتجاوز النشاط الطالبي؟ ومع من؟**

□ بالتأكيد، وكان هذا مجال حوار؛ مع وديع حداد وأحمد الخطيب وهاني الهندي، وكانوا كلهم طلاباً.

■ **فيمَ فكرتم؟**

□ إن طبيعة الممارسة كانت بالتأكيد مرتبطة بمستوى الوعي والنضج. كنا مشدودين إلى العمل المباشر، أي عمل سريع ومؤثر؛ لهذا كنا نركز في ذلك الوقت على قتل الخونة والصهيونيين وكبار المسؤولين في سلطة الانتداب البريطاني.

في تلك الفترة، قال لي هاني الهندي إن في سورية أشخاصاً يفكرون مثلنا؛ وهكذا نشأت «كتائب الفداء العربي». اشتغلنا في «كتائب الفداء العربي»، أنا وهاني وجهاد ضاحي وحسين توفيق من مصر وآخرون. كنا نستهدف الخونة في الدرجة الأولى، ثم الإنكليز فإسرائيل. لكن عندما حدثت محاولة اغتيال الشيشكلي الفاشلة، التي قام بها حسين توفيق ربما بإيعاز من قوى أُخرى، والتي لم نكن أنا وهاني وجهاد موافقين عليها، بدأت أفكر في أن من غير المعقول أن نحرر فلسطين من خلال هذه الأعمال، وإنما يجب

التفكير في إطلاق حركة سياسية.

ومن خلال ما كنا نقرأ، هاني وأنا، تبلور لدينا أن هدف تحرير فلسطين لا يمكن أن يتحقق إلاّ من خلال الوحدة العربية، وأن التنظيم الذي نفكر فيه يجب أن يتولى شؤونه شبان شجعان ينسون حياتهم كأفراد وينذرون أنفسهم لهذه القضية؛ هكذا بدأت تتبلور نواة فكرة حركة القوميين العرب.

صحيح أن التيار القومي العربي كان واسعاً جداً، لكن التنظيم الذي أُطلق عليه اسم «حركة القوميين العرب»، ارتبط بهذه النواة التي قالت إن تحرير فلسطين يتم من خلال الوحدة العربية. أمّا التنظيم فكنا نؤمن بأنه يجب أن يكون تنظيماً حديدياً.

■ **ما هي الخلفية السياسية والأيديولوجية والثقافية لما كنتم تقرأون في تلك الفترة؟ بكلام آخر: هل كان هناك فكر ما في خلفية عمل هذه النواة؟**

□ فكر زريق لأنه كتب عن النكبة، وساطع الحصري الذي كان بمثابة أب القومية العربية آنذاك. وأذكر أنه سئل مرة: لماذا هُزمنا؟ فأجاب: لأننا كنا سبع دول. طبعاً، قراءة زريق والحصري لم تكن كافية، إذ كنا نواجه في الجامعة البعث والقوميين السوريين والشيوعيين. وعندما بدأنا نفكر في تأسيس حركة سياسية أدركنا أنه يجب قراءة كل شيء، وقلنا: لن نسمح لأنفسنا بتشكيل حزب أو حركة إلاّ بعد أن نتأكد تماماً من أمرين:

رؤيتنا السياسية (بحسب مفهومنا للرؤية السياسية في ذلك

الوقت)، وموضوع التنظيم الحديدي الذي نتأكد منه بالممارسة لا بالكلام. فيما يتعلق بالفكر، قلنا يجب أن نقرأ تجربة الوحدة الألمانية، والوحدة الإيطالية، والقرآن، وكتب التاريخ. كان وديع حداد ـ وأتخيله الآن أمامي ـ مستغرقاً في القراءة، وكذلك هاني.

■ **إذاً، في موضوع التنظيم، كانت هذه هي المصادر أو المرجعيات؟**

□ نعم. في ذلك الوقت الماركسية لم تكن واردة.

■ **الثورة الفرنسية مثلاً، ألم تكن جزءاً من هذه المصادر؟**

□ نعم، نعم. لكن لا الماركسية، لماذا؟ لأن موقفنا منها كان سلبياً آنذاك، وذلك رداً على وقوف الاتحاد السوفياتي إلى جانب التقسيم. كنا نريد إقامة مشروع الوحدة والتحرير على أرضية نظرية أعمق، وكنا نبذل جهوداً للتعلم. وكما قلت لك درست القرآن وكذلك فعل وديع؛ درسنا الوحدة الألمانية والإيطالية والثورة الفرنسية.

كنا مشدودين أولاً إلى أن نكون رجالاً صادقين. ولم نسمح لأنفسنا بإعلان التنظيم إلاّ بعد مرور ثلاثة أعوام على بدء التفكير في الموضوع؛ بدأنا التفكير سنة ١٩٤٨، وشرعنا في التنظيم سنة ١٩٥١. وعندما ذهبت إلى الأردن وتبعني وديع، كنا نفكر في أننا يجب أن نتفرغ تفرغاً كاملاً لهذا العمل، وأن نكون مستعدين للتضحية إلى أقصى الحدود. أتذكر أن أول راتب قبضه أحمد الخطيب في الكويت كان ١٠٠ دينار أرسل إلينا منها ٩٠ ديناراً،

عندها قلنا: صار في إمكاننا أن نبدأ.

■ **لكن كان هناك حزب البعث، لماذا لم تنضموا إليه؟**

□ لم ننضم إليه لسببين: في ذلك الوقت بدأت تتضح معالم رؤيتنا الخاصة للمشروع الصهيوني، قلنا: وحدة، تحرر، ثأر. كان لموضوع فلسطين والموقف من المشروع الصهيوني، بالنسبة إلينا، الأولوية. ربما لأنني رأيت ما رأيت في اللد، وفي ضوء كل ما جرى. البعث آنذاك لم يكن يركز على المشروع الصهيوني، ولم يجعل من موضوع فلسطين الموضوع الأول؛ هذا سبب.

السبب الثاني، «مطعم فيصل». كنا نرى شباب البعث يجلسون في المطعم، يشربون القهوة ويتمازحون. كنا نشعر بأنهم في واد، ونحن في واد آخر. كنا نؤمن بالتنظيم الحديدي، بمعنى أن كل شيء للعمل. كان هذا يضفي علينا في بداية الخمسينات خصوصية معينة. كنا نمثل شيئاً جديداً؛ وهذا الشيء الجديد هو الذي جعل وضعنا ينمو في الأردن خلال ثلاثة أعوام لنصبح مثل البعث وأكثر... أمّا الاشتراكية فقد دار بعض النقاش في شأنها، وكان رأيي أنها تأتي في مرحلة لاحقة.

■ **إذاً التركيز في تلك الفترة كان على الأردن؟**

□ نعم، الأردن ولبنان أيضاً.

حركة القوميين العرب

■ **النواة الأولى لحركة القوميين العرب كان نشاطها الأساسي متمركزاً في الأردن وفي لبنان؟**

□ نعم.

■ **من أطلق اسم حركة القوميين العرب؟**

□ جرى نقاش في شأن الاسم - عفواً، لا تسيء فهمي إذا كان هناك تركيز على شخصي - كنتُ أقول: لا نريد حزباً، وإنما حركة. الحركة تتسع للأمة العربية كلها؛ إنها أقرب إلى مفهوم الجبهة، وتعني أن الأمة كلها في مواجهة المشروع الصهيوني. محسن (إبراهيم) كان يريد حزباً. كانت هذه نقطة خلاف وحوار بيننا.

■ **هل كان محسن من النواة الأولى؟**

□ لا، كان من المجموعة الثانية التي انضمت بعد النواة الأولى.

■ **لكن تبني مفهوم «التنظيم الحديدي» هو أقرب إلى بنية الحزب منه إلى بنية الحركة؟**

□ مفهوم التنظيم الحديدي كان على مستوى القيادة، وكنا نقول بالقيادة الجماعية، والقيادة وسط القاعدة، والمركزية المرنة. وديع كان يمثل أكثر مني مبدأ القيادة في القاعدة، تراه دائماً وسط القاعدة. لقد كان وديع غيفارا المنطقة العربية، جسّد أكثر منا جميعاً

مبدأ القيادة في القاعدة.

■ **هل كان التجاوب في المخيمات أكثر أم في خارجها، في تلك الفترة؟**

□ في المخيمات في الدرجة الأولى، ثم في أوساط المثقفين. وقد عقدنا المؤتمر الأول، لا على أساس الانتخابات وإنما على أساس مبادىء حددتها النواة الأولى المؤلفة من: وديع، أحمد الخطيب، هاني، أنا، صالح شبل، حامد الجبوري؛ هذه المجموعة هي التي وضعت الأسس.

وعندما بدأنا نُعِدّ للمؤتمر الأول، انضم محسن إبراهيم ومحمد الزيات. محمد، رحمه الله، كان يجسد أيضاً مبدأ القيادة في القاعدة. ثم انضم الحكم دروزة، وعدنان فرج، وثابت مهايني، ومصطفى بيضون. أتصور هؤلاء هم. عقدنا المؤتمر الأول في عمان سنة ١٩٥٦. بعد المؤتمر، دار نقاش أثاره محسن متبنياً موقف الدعوة إلى حزب، قلنا حينها: من الأفضل إذاً أخذ رأي القاعدة. وكان رأيها حركة لا حزباً. كنا نفكر في تيار واسع يضم إلى الحركة أندية وجمعيات..

■ **ما تقويمك الآن للسجال الذي كان قائماً، في تلك الفترة، بين المثقفين إجمالاً من الأحزاب: البعث والحركة والقوميين السوريين، في شأن الوحدة طريق التحرير أم التحرير طريق الوحدة؟**

□ التاريخ أعطى جواباً بشأن هذا الموضوع. وما جرى في

فيتنام أعطى جواباً. المهم هو الربط بين شعارَي الوحدة والتحرر. إن جوابي اليوم هو الترابط بين الوحدة والتحرر. أمّا إذا لم تكن الحركة في مركز القيادة، وكان عليها أن تحدد موقفاً من قضية معينة، فيجب تحديد المواقف على أساس الوضع الملموس.

لقد واجهنا هذا الإشكال تجاه وحدة اليمن مؤخراً، وواجهناه أيضاً فيما يتعلق بالصحراء الغربية، البوليساريو. بالنسبة إلى اليمن، أعطت الجبهة الأولوية للوحدة. بعد نقاش مستفيض قلنا: يجب توحيد اليمن، بغض النظر عن الفوارق بين اليمنين الجنوبي والشمالي. أمّا بالنسبة إلى الصحراء، فقد قاتل البوليساريو الإسبان، وكانت لنا معهم علاقات قبل معركة التحرير وفي أثنائها.

وكانت الجزائر، التي تربطنا بها أيضاً علاقات وثيقة، تساند البوليساريو. ولم يكن الملك الحسن الثاني مبالياً بكل هذا، فكان من الطبيعي ألاّ تقدم إليه الصحراء هدية؛ وبالتالي كان من الطبيعي أن تستمر علاقتنا بالبوليساريو بعد التحرير.

كان هذا قرارنا، وإن كنت أعتقد بصدق أن الموضوع يحتاج إلى مزيد من التفكير. فالقوى الوطنية والتقدمية في المغرب، مثلاً، كانت مع الوحدة وضد البوليساريو. كان هناك باستمرار انقسامات وخلافات في حركة التحرر الوطني العربية بشأن هذه العناوين، ولا تزال.

الدرس المهم الذي تعلمناه هو الاستفادة مما هو قائم قدر استطاعتنا، إذ لا يمكن تحقيق الأهداف الكبرى دفعة واحدة. لذا

يجب اعتماد استراتيجيا المراحل وتركيم الإنجازات، وأن نقوم بدورنا المطلوب سواء على صعيد التحرر ومقاومة المشروع الصهيوني، أو على صعيد الوحدة والتقدم الاجتماعي؛ إذ من غير الممكن فصل المسائل أو تجميدها وفق رغباتنا.

■ **يعني لم يحكم مبدأ عام في هذا الموضوع؟**

□ نعم لم يحكم هذا الموضوع مبدأ عام. لكن ما أستخلصه هو ضرورة الترابط بين الوحدة والتحرر، القومي والاجتماعي، والانطلاق باستمرار من الواقع الملموس، والأخذ بعين الاعتبار طبيعة القوى التي تقود وتسيطر في كل مرحلة؛ إذ إن هناك فارقاً كبيراً بين أن تكون القوى التقدمية هي التي تقود النضال من أجل الوحدة والتحرر، وبين أن تكون قوى رجعية متخلّفة.

ماذا أقصد بالواقع الملموس؟ مثلاً: كانت سورية متحررة من الاستعمار الفرنسي في ذلك الوقت، وكان في العراق نظام ملكي، وإجمالاً رجعي (نوري السعيد)؛ كان المخطط الموضوع في تلك الفترة هو احتواء سورية.

وقد تبنّى بعض الرفاق وجهة نظر تدعو إلى الوحدة بين البلدين، في مقابل وجهة النظر التي كنا نتبناها، وهي أن تلك الوحدة ستكون مقيَّدة بنوري السعيد. وبالتالي يجب الربط بين الوحدة والتحرر، كما حدث في فيتنام وغيرها. هذه هي القاعدة العامة فيما لو كانت القوى التقدمية في موقع القيادة. أمّا في حال لم تكن فيجب قراءة الواقع الملموس عند تحديد الموقف.

■ ما هي أهم الدروس التي يمكن استخلاصها من مرحلة حركة القوميين العرب؟

□ الدروس هي أهم ما بقي من تلك المرحلة. قد يقال: لم تحققوا لا الوحدة ولا التحرر ولا الثأر. وهذا صحيح، لكن يجب أن نستفيد من هزيمتنا. ففي الهزائم من الدروس أحياناً أكثر مما في الانتصارات. خذ مثلاً ما جرى في اليابان؛ هُزمت لكنها الآن قوة كبيرة. والأمر نفسه بالنسبة إلى ألمانيا. بكلمات أُخرى: أرى من الخطأ الفادح إغفال تاريخنا، وعدم إعادة قراءته وإخضاعه باستمرار للنقد والتحليل، وفي الوقت نفسه الانطلاق دائماً بالاستناد إلى الخبرة المتراكمة وعدم البدء في كل مرة كأننا نبدأ من الصفر؛ هذه جريمة.

فتجربة حركة القوميين العرب، وغيرها من التجارب، هي مكوِّن مستمر من مكوِّنات وعينا الحاضر. وتاريخ أي شعب أو أمة هو سلسلة مترابطة؛ فالتاريخ لا يعرف الفراغ مهما تكن حقائقه مُرّة وقاسية. وأي قَطْع مع التاريخ هو قَطْع مع الحاضر.

أمّا الدروس التي يمكن تسجيلها، فإنني أكثفها بالعناوين التالية:

١ ـ كنا نراهن على التحرير من خلال الوحدة، فجاء الانفصال ليضعنا وجهاً لوجه أمام ضرورة العمل القطري الفلسطيني.

قبل ذلك كنا بدأنا بتعيين قيادات قطرية للحركة. وكانت قيادة القطر الفلسطيني مؤلفة من الإخوة د. وديع حداد، د. أسامة

النقيب، رفعت سرحان، زاهي قمحاوي. وألّفنا في بيروت لجنة فكرية من الأستاذين برهان الدجاني ووليد الخالدي وآخرين. بدأنا التفكير في العمل المسلح، وسقط أول شهيد لنا وهو خالد أبو عيشه. وقد طرحت هذا الموضوع على الرئيس عبد الناصر في أول لقاء معه سنة ١٩٦٤. إذاً، فضرورة الترابط بين العمل القطري والعمل القومي هي الدرس الأول.

٢ ـ أمّا الدرس الثاني فهو الموضوع الطبقي الاجتماعي. في البدء هاجمنا الماركسية لأننا ربطنا بينها وبين موقف الاتحاد السوفياتي من التقسيم. بعد هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧ وهزيمة الأنظمة، بدأنا نفكر في البعد الأيديولوجي للحركة. الحركة الانفصالية التي قضت على الوحدة بين مصر وسورية قادها كبار البورجوازيين بعد أن تناقضت مصالحهم مع التوجه الاشتراكي للوحدة. لا أجد تناقضاً بين اعتناق الماركسية والانتماء القومي. كنت قومياً وسأبقى. فالقومية بالنسبة إليّ هي الإطار، والاشتراكية هي المضمون؛ بمعنى أن علينا أن نعطي رؤيتنا وأهدافنا القومية، باستمرار، مضموناً تقدمياً.

■ إسمح لي بأن أقاطعك: إنك تتحدث عن الوحدة المصرية ـ السورية كما لو كانت وحدة حقيقية قامت على عناصر سليمة وقادرة على الاستمرار. ألم يكن الانفصال حتمياً لأن الوحدة كانت ردة فعل عاطفية غير مدروسة لتحديات تلك المرحلة؟

□ ما تقوله صحيح. وهنا يأتي الدرس الثالث: الديمقراطية. لا

يجوز أن يكون هناك أي شيء على حساب الديمقراطية. ولا يمكن للشعب أن يحقق أهدافه الكبرى إلاّ من خلال الحياة الديمقراطية. هناك ثلاثة دروس أساسية إذاً: الترابط بين النضال القومي والنضال القطري؛ الموضوع الطبقي والاشتراكية؛ الديمقراطية.

لا يمكن تعبئة الجماهير إلاّ من خلال الديمقراطية، والاهتمام بقضاياها الحياتية. بل إن قدرة الجماهير على القيام بدورها في التقدم والدفاع عن أهدافها ومصالحها، مرتبطة بحريتها وتفجير طاقاتها وإبداعاتها؛ وهذا غير ممكن من دون حياة وقيم ديمقراطية. فالديمقراطية والحرية هما الشرط للسير نحو الوحدة والتطور والتنمية واستثمار إمكانات الأمة في مواجهة أعدائها القوميين، وليس العكس. لذلك أقول إن دروس الانفصال كانت كبيرة.

■ هل تجسدت هذه الدروس على الصعيد العملي والنضالي؟

□ نعم بصورة نسبية، لقد تقدمت رؤيتنا وممارستنا في بعض الجوانب، وأخفقنا في جوانب أُخرى.

فمثلاً بالنسبة إلى ترابط التحرر والوحدة نضجت رؤيتنا أكثر وأصبحت أكثر واقعية وارتباطاً بتعقيدات الواقع الموضوعية، أقصد واقع التجزئة وما نجم عنه من صيرورات، إضافة إلى الوعي الأعمق لطبيعة المشروع الصهيوني وطبيعة الصراع ضده، الذي بتنا نرى أنه اشتباك تاريخي مفتوح تفعل فيه شبكة لامتناهية من العوامل المتحركة.

إذاً نحن أمام مهمات وأهداف كبرى لها طابع التاريخية التي

لا يمكن إنجازها مرة واحدة، وإنما عبر عمليات تاريخية تراكم مقدمات تحقيقها من جانب، وتتصدى لصيرورات التجزئة المستمرة والمشروع الإمبريالي الصهيوني من جانب آخر.

أما في موضوع الديمقراطية، فقد تقدمت ممارستنا بالنسبة إلى هذا العنوان الحيوي إلى أبعد حد. ولهذا فإن تجربة الجبهة، سواء وعيها النظري أو بنيتها التنظيمية، خطت خطوات مهمة إلى الأمام قياساً بتجربة حركة القوميين العرب. فالجبهة الشعبية تعقد مؤتمرات بصورة مستمرة، وتنتخب هيئاتها من القاعدة إلى القمة، وتمارس نقد سياساتها باستمرار. باختصار: لم يعد أحد داخل الجبهة فوق النقد، وغدا الالتزام تجاه ما تعطيه العملية الديمقراطية الداخلية معياراً ناظماً. وهذا يسحب نفسه أيضاً على علاقتنا بالقوى الأُخرى وبجماهير شعبنا.

أمّا على صعيد العلاقة بين القومي والقطري، فأعتقد أن الجبهة الشعبية تمكنت دائماً من الحفاظ على علاقة متوازنة تجاه هذه المعادلة، ولم تسقط في نظرة أحادية الجانب كما حدث مع غيرها. أقول هذا على الرغم من الفشل الذي واجهه حزب العمل العربي الاشتراكي* على هذا الصعيد، إذ لم يتمكن من تخطي

* حزب العمل العربي الاشتراكي عبارة عن فروع حركة القوميين العرب في لبنان وسورية والعراق وفلسطين - أي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - وقام على أساس الربط العميق بين العمل القومي والعمل الوطني في كل قطر عربي. وقد تشكلت له قيادة موقتة من: جورج حبش، هاشم علي محسن، منيف فرج.

الإشكالات التي واجهتها قيادة حركة القوميين العرب.

في أية حال، ستكون هذه العناوين كلها وسواها ميدان نقاش واسع في المؤتمر الوطني السادس للجبهة، على أساس وثائق المؤتمر بما احتوته من مراجعة نقدية شاملة لمجمل مسيرة الجبهة والحركة الوطنية الفلسطينية.

■ **أما زلت تعتنق الاشتراكية على الرغم من كل ما حدث من انهيار الاتحاد السوفياتي وتراجع اليسار في العالم كله؟ أما زلت تؤمن بالاشتراكية، بالفهم الذي كان سائداً؟**

□ كلا. ما كان سائداً انتهى، وفهمي الآن للاشتراكية مختلف. البورجوازية تعني الاستغلال والاضطهاد الطبقي والقومي والفقر والأنانية، بينما الاشتراكية كما أفهمها تعني أن الإنسان يفكر في نفسه وفي المجتمع؛ تعني الديمقراطية والعدالة والحرية وتحرر الأمم والتقدم. هذا هو فهمي للموضوع.

■ **سنعالج هذا الموضوع لاحقاً. حددتم الأعداء في مراحل نضالية طويلة بالإمبريالية والصهيونية والرجعية العربية. هل تطور هذا المفهوم، وفي أي اتجاه؟**

□ في اتجاه تعميق فهمي لهذا الموضوع، أولاً، بالنسبة إلى إسرائيل: إسرائيل والصهيونية كلٌّ واحد، كفكر وأهداف ومشروع استيطاني.

هذا ما لمسته بصورة شخصية مباشرة في فرنسا (خلال زيارتي للعلاج في شباط/فبراير ١٩٩٢). هناك اشتباك تاريخي بين الأمة

العربية وإسرائيل، ولا مجال للتعايش بين المشروع الصهيوني تجاه المنطقة وبين المشروع النهضوي العربي.

هذه قناعتي، والأيام تثبتها أكثر فأكثر. عندما تنتج إسرائيل ترسانة من القنابل الذرية، هل يشكل هذا خطراً على الشعب الفلسطيني فقط؟ إنه خطر على المنطقة كلها، ويجب أن يدرك العرب جميعاً هذا الأمر. ثم هناك الصراع بشأن المياه في القرن المقبل. إن الباحثين المتخصصين بهذا الموضوع يحذرون كلهم من شح المياه في المنطقة كمصدر جديد للصراع، فهل ستقبل إسرائيل بالتخلي عن قطرة مياه واحدة؟

ثم هناك أمثولة ما يجري في الأردن الآن. قبل عامين قال الناس: سنرى هل من الممكن أن يتم السلام؟ إذهب الآن إلى الأردن واسأل المواطن العادي: هل السلام تحقق؟ إنني أتردد على الأردن، أحياناً لا يستطيع الإنسان أن يستحم من شح المياه. حتى الملك حسين التقيته مرة وحدّثني عن موضوع المياه قائلاً: في نهاية هذا القرن، أو بداية القرن المقبل، سنكون أمام حروب المياه.

مؤخراً، كنت أقرأ كتاب شمعون بيرس «الشرق الأوسط الجديد». إن مشروعه قد يثير السخرية لدى البعض، لكنه ينبه إلى حقيقة المشروع الصهيوني؛ إنه يريد السيطرة على المنطقة كلها. يجب أن نعمّق فهمنا لإسرائيل وللمشروع الصهيوني، وليت مراكز الأبحاث المعنية تركز أكثر على دراسة إسرائيل. أقول هذا لا بسبب المطامح الإسرائيلية فقط، بل أيضاً لأن على أية قوة جادة في

مواجهة هذا العدو الارتقاء بوعيها وبممارستها وبأدائها إلى مستوى المعايير التي يدير بها ذلك العدو الصراع.

ذلك الصراع الذي لا يدور بين حق وباطل فقط، بل أيضاً بين قوي وضعيف، بين عدو يراكم أسباب القوة والتفوق في كل المجالات، في حين تسود لدينا عقلية التبديد والانفعال ومحاولة حسم الصراع بالخطاب.

أمّا بالنسبة إلى الإمبريالية، فيجب أن نتصدى لرأس الإمبريالية في كل مرحلة من المراحل. الوثيقة الأولى للجبهة في سنة ١٩٦٩ تحدثت عن إسرائيل والصهيونية والإمبريالية؛ هذا التعميم غير دقيق. يجب أن نتحدث عن إسرائيل والصهيونية، وبعد ذلك عن رأس الإمبريالية. في الثلاثينات والأربعينات كانت بريطانيا رأس الإمبريالية. الآن الولايات المتحدة. لقد سألت نفسي: هل مجابهة كل الدول الإمبريالية وهزيمتها شرط ضروري ولازم كي ننتصر على إسرائيل؟ وكان الجواب أن علينا أن نركز الجهد على إسرائيل كمركز من المراكز الإمبريالية.

أي باعتبارها العدو المباشر والداهم؛ بمعنى أن نحاول دائماً قراءة لوحة التعارضات بين إسرائيل والصهيونية من جهة، وأميركا من جهة أُخرى، وبينها وبين بقية الدول الرأسمالية، وأن نرى هل هناك إمكان للاستفادة من تلك التعارضات واستخدامها لمصلحة حقوقنا.

وبالقدر نفسه يجب قراءة وتحليل التعارضات داخل إسرائيل،

ورؤية حركتها الاجتماعية والتاريخية، وعدم التعامل مع الكيان الصهيوني ككتلة صماء متجانسة لا يمكن اختراقها؛ فهو كأي ظاهرة اجتماعية تتحرك فيه جملة لا حصر لها من التفاعلات ومن الحراك الذي يعود إلى تراكمات تاريخية واجتماعية وطبقية وثقافية وإثنية متباينة في حدتها ومستواها.

بالنسبة إلى موضوع الرجعية، فإن رؤيتنا ومفاهيمنا على هذا الصعيد قد تطورت أيضاً، وينبغي تطويرها باستمرار، لسبب بسيط هو أننا نتعامل مع واقع اجتماعي سياسي ثقافي متحرك هو أبعد ما يكون عن السكون. ويخطىء تماماً من يعتقد أن تناسبات القوة داخل المجتمعات العربية بقيت على حالها كما كانت منذ خمسين عاماً. لقد حدثت تطورات عاصفة في العمق العربي، سواء على الصعيد الاقتصادي أو الثقافي أو السياسي، الأمر الذي يحتم الوقوف أمامها باستمرار للانطلاق منها عند رسم السياسات.

بهذا المعنى فإن نظرتنا إلى الرجعية كاتجاه عام صحيحة.

لكن هناك، بعد ذلك، معطيات وتجسيدات وتناقضات تجعل التعامل معها عملية تحتاج إلى عقل فاعل وناشط، وبالتالي عدم وضع الأنظمة كلها في سلة واحدة. هذا مناقض للعلم عدا كونه ضاراً بالعمل الوطني والقومي؛ ذلك بأن من أول شروط الإدارة الناجحة لصراع بهذا المستوى من الشمول والضراوة، القدرة على استثمار ما نملك من طاقات بأعلى قدر من الفاعلية والكثافة، وتحييد ما يمكننا من تناقضات داخلية لمصلحة التركيز على

التناقض الرئيسي ضد إسرائيل والمشروع الأميركي المعادي لأمتنا العربية.

لنلاحظ أن مصر الآن متأذية نتيجة موقف إسرائيل، وكذلك السعودية متأذية بسبب محاولات إسرائيل التوسع في الخليج؛ لهذا نقول بالاشتباك التاريخي المفتوح. صحيح أن أميركا ترمي الآن بثقلها لفرض الاستسلام، لكن هناك عقبات كبرى تواجهها: القدس؛ الاستيطان؛ موضوع عودة أربعة ملايين فلسطيني في الشتات؛ الواقع الناشىء عن وجود أكثر من ثلاثة ملايين فلسطيني في الداخل. إذاً، فالموضوع يتجاوز مسألة سورية ومسألة لبنان؛ إنه اشتباك شامل وصعب.

■ **لو فكرت الآن في إعادة تأسيس حركة قوميين عرب جديدة، ماذا يبقى وماذا يضاف؟**

□ سؤال كبير في الحقيقة، لكن أولاً أضيف كشعار أساسي موضوع الديمقراطية؛ الديمقراطية في العائلة والمدرسة، في الأندية والجمعيات.. إلخ، إلى أن تصل إلى العمل السياسي: التنظيمات والأحزاب ومؤسسات الدولة وهيئاتها. لهذا، أضيف إلى جانب موضوع استرداد فلسطين موضوع الديمقراطية. لكن قبل أن نضيف يجب أن نغيّر. مثلاً: كنت أفهم الوحدة على أساس ما جرى بين مصر (عبد الناصر) وسورية.

لكنني أفهم الوحدة الآن بصورة أُخرى. علينا أولاً أن نأخذ بموضوع تراكم وتكامل العوامل والمراحل. أي تركيم الإنجازات

في الاتجاه الوحدوي خطوة خطوة، ودعمها وتطويرها، سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية.. إلخ.

ثم إنني أتصور الوحدة الآن ـ على سبيل المثال ـ على النحو التالي: وحدة السودان ومصر؛ وحدة دول المغرب العربي؛ وحدة بلاد الهلال الخصيب؛ وحدة الجزيرة والخليج. وبهذا يتم تقارب وتوحيد كل منها، من دون أن يكون هذا مرهوناً بخطوات مماثلة على مستوى غيرها من المواقع، ومن دون أن يمنع الاتفاقَ على بعض الخطوات الوحدوية على المستوى القومي، كحرية التنقل للأفراد أو حرية انتقال الكتاب، وتشجيع التبادل التجاري، والتنسيق بين الجامعات، وبعض الإجراءات المدنية.

ثم، بعد ذلك، يمكن التقدم خطوة أُخرى إلى الأمام، من نوع قيام اتحاد بين هذه الوحدات (نموذج الولايات المتحدة الأميركية). إننا، في الواقع، سنكون أمام عملية طويلة ومتداخلة إلى أبعد حد.

يأتي بعد ذلك موضوع الاشتراكية. في البداية لم نطرح موضوع الاشتراكية وإنما كنا نقول: وحدة، تحرر، ثأر ـ ثأر يعني المشروع الصهيوني. بعد ذلك، موضوع الاشتراكية تم من خلال التفاعلات الحزبية. هنا أود أن ألفت النظر إلى أن الأشياء الكبرى في تفكيري تبلورت ونضجت في ضوء الحدث. الحقيقة أن الحدث هو الذي حدد طريقة تفكيري.

صحيح أن القراءات أدت دوراً، وكذلك التفاعلات الحزبية

بصورة عامة. لكن عندما تقول جورج حبش والتطورات التي حدثت في فكره، فإن الحدث قام بالدور الرئيسي. مثلاً: موضوع الانفصال، حرب ١٩٦٧، حرب ١٩٧٣، الانتفاضة. يأتي الحدث، فتجري التفاعلات الحزبية، ثم القراءات. حدث، تفاعلات، قراءات، هكذا تكوّن جورج حبش من الناحية الفكرية.

■ **نعود إلى موضوع الاشتراكية؟**

□ قلت: في البداية لم يُطرح موضوع الاشتراكية. كنا نعرف أن الجماهير هي الأساس، وبهذا المعنى كنا تقدميين. لكنني، شخصياً، كنت أعتبر أن المرحلة ليست مرحلة الاشتراكية. أصدرنا، في ذلك الوقت، تعميماً مهماً جداً (ليتني أحصل عليه) قلنا فيه إن الاشتراكية تنجز على مرحلتين: أولاهما مرحلة التحرر، وثانيتهما مرحلة ما بعد التحرر. هذا التعميم يمثل أول خطوة لتطوير فكر الحركة في اتجاه ديمقراطي. كنا نتطور من دون انشقاقات. ولو استمر هذا الحال لما انهارت حركة القوميين العرب.

عندما قامت الوحدة، وكان عبد الناصر يطرح الاشتراكية، حدث تفاعل ونقاش حزبي. ألّفنا في بيروت لجنة ثقافية من الحركة ـ أعتقد في بداية سنة ١٩٥٩ ـ برئاسة محسن إبراهيم، وعضوية كل من: محمد الزيات، وجوزيف مغيزل، وعبد الحميد شرف، وأحمد ستيتيه. اجتمعت القيادة إلى أعضاء اللجنة، وناقشت الأمر، وقررت إضافة الاشتراكية إلى شعارات الحركة، واستبدال كلمة «الثأر» بـ «استرداد فلسطين». فصارت شعارات

الحركة: الوحدة، التحرر، الاشتراكية، استرداد فلسطين. وقد تم هذا التغيير الأخير بناء على اقتراح أعضاء اللجنة الذين قالوا إن شعار «الثأر» لا يجد تعاطفاً بين الناس. كما أثاروا موضوعات أُخرى مثل التمييز بين اليهودي والصهيوني.

■ **لكنك قلت، قبلاً، إن الانفصال عمّق تفكيرك الاشتراكي وذهب بك إلى الماركسية؟**

□ عندما حدث الانفصال، ورأيت بنفسي القوى التي قامت فيه بدور رئيسي، وفي ضوء انشدادي العميق إلى موضوع الوحدة، تعمّق فهمي للصراع الطبقي. أدركت أن هناك صراعاً طبقياً حقيقياً داخل المجتمع. ثم درست تجربة فيتنام؛ وخلاصتها أن التنظيم الذي يقوم على أساس ماركسي، أي بمعنى الاسترشاد بالفكر المنهجي الجدلي، ويلتزم مصلحة الأغلبية المستغَلة والمضطهَدة التي تكمن في التحرر والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، سينتصر. بينما التنظيم الذي يقوم على أساس بورجوازي صغير سيفشل.

إنني لا أجد تناقضاً بين كوني عربياً يؤمن بالأمة العربية وبين أن أكون اشتراكياً حقيقياً. والحقيقة أن ما أفادني هو فترة السجن التي أمضيتها في سورية. وعليّ أن أشكر سجّاني، عبد الكريم الجندي، الذي حشرني في زنزانة منفردة تسعة أو عشرة أشهر، وهو يظن أنه سيقضي عليّ. لكنني أمضيت هذه الفترة كلها في القراءة. قرأت إنغلز وماركس ولينين.

■ **يعني في الأشهر التسعة ركّزت على قراءة الماركسية؟**

□ التزامي الماركسية الفعلي جاء بعد سنة ١٩٦٧. وتعمّقت ماركسيتي أكثر في أثناء السجن. وفي ضوءِ ذلك، كتبت وثيقة المؤتمر الوطني الثاني للجبهة.

■ **هل قرأت الماركسية في مراجعها المترجمة إلى العربية، أم في مصادرها الأجنبية؟**

□ قرأتها في ترجماتها العربية.

■ **قرأت مجموعات ماركس وإنغلز ولينين جميعها؟**

□ قرأت معظمها، وقرأت أيضاً هوشي منه، وماو تسي تونغ؛ وقد أعجبت جداً بماو.

تجربة الكفاح المسلح وحقبة م.ت.ف.
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

■ **هل أخذت الجبهة، فعلاً، بالفكر الماركسي وشكلت، فعلاً، التنظيم اللينيني، أم أن ذلك كله بقي مجرد شعارات؟**

□ الجبهة التزمت المنهج الجدلي المادي الذي قال به ماركس. وكما تعرف فالجبهة جسم اجتماعي حي، وقد مرت في تاريخها بمراحل كثيفة هي من كثافة الأحداث التي مر بها الشعب الفلسطيني والأمة العربية وحركة التحرر الوطني العالمي.

إننا ندرك، بالتأكيد، أن تبنّي فكر ما أو منهج ما لا يعني إجادته وامتلاكه بصورة آلية؛ فهذه عملية فكرية اجتماعية عميقة ترتبط بالممارسة بصورة حاسمة. لهذا، فإن التزام الجبهة الفكر الماركسي لم يمنع وقوعها في بعض الأخطاء والفهم الميكانيكي لبعض المسائل. لكنني أقول، بكل ثقة، إن الجبهة بصورة عامة كانت تجتهد وتجاهد للوصول إلى الحقيقة وتطوير وعيها ورؤيتها. وهي، بهذا المعنى، مرت بخط سير متعرج صعوداً وهبوطاً.

لكن الجبهة، في كل الأحوال، حافظت على بيئة ديمقراطية، وإن لم تكن كاملة دائماً. وهذا ما أمّن لها اليوم القدرة على إعادة قراءة التجربة الوطنية وتجربتها الخاصة على أساس المنهج العلمي المادي الجدلي، الذي يحيل المسائل على أسبابها ومرجعياتها،

الأمر الذي يتجلى بأوضح ما يكون في وثائق المؤتمر الوطني السادس الذي نستعد لعقده خلال الأشهر القليلة المقبلة، والتي تحمل قراءة تحليلية نقدية شاملة للتجربة طوال ٥٠ عاماً.

يتمنى الإنسان دائماً ألاّ يقع في الأخطاء، لكن هذا غير ممكن. وفي النهاية يبقى الأمر الحاسم هو القدرة على توفير شروط تجاوز الخطأ، وتحويل دروس الأخطاء إلى نضج فكري وسياسي وعلمي كشرط لازم للنهوض لاحقاً.

إذاً هناك ثوابت: المنهج المادي الجدلي ثابت وسيبقى، وهذا هو جوهر الماركسية؛ موضوع الأمة العربية والقضية الفلسطينية وارتباطها بالموضوع القومي ثابت؛ موضوع تحرير فلسطين كلها من دون التنازل عن حبة تراب واحدة ثابت. وأي شيء يقال عن الجبهة غير هذا لا تصدقه. أمّا المتغيرات، فيمكن تلمّسها في القبول بفكرة المراحل. مثلاً: نحن نقول بتحرير فلسطين كلها، لكن هذا غير ممكن من الناحية العلمية والعملية حالياً. وعلى هذا الأساس فإننا نرى إمكان الاستفادة من مؤسسات وقرارات الشرعية الدولية التي تقر بحقوقنا الوطنية وبعدم شرعية الاحتلال.

ثم هناك مسألة التوفيق بين الاستراتيجيا والتكتيك، وهذا تحدده قيادة الجبهة بناء على المعطيات والمصالح الوطنية والقومية.

■ **كيف تنظر اليوم إلى العلاقات بين «الجبهة» و«فتح»، في مرحلة الكفاح المسلح؟**

□ كان موضوع الكفاح المسلح الموضوع المشترك بيننا وبين «فتح» في المرحلة التي سبقت انهيار أبو عمار وتوقيعه اتفاق أوسلو. وعلى الذين يريدون أن يفهموا لماذا وُجِدت الجبهة في ظل وجود «فتح»، أن يأخذوا بعين الاعتبار ثلاثة موضوعات أساسية: أولاً، ترابط الموضوعين الفلسطيني والقومي، إذ لا يمكن تحرير فلسطين إلاّ من خلال هذا الترابط. والخطأ الكبير الذي ارتكبته «فتح» هو فك ترابط القضية الفلسطينية بالقضية القومية؛ لقد كان هذا خطأ مميتاً.

ثانياً، الموضوع الطبقي. فالبورجوازية متى حققت أهدافها كطبقة تتوقف عن النضال، بينما أغلبية الشعب الفلسطيني لن تتوقف إلاّ عندما تحقق تحرير فلسطين. ما جرى هو أن شريحة طبقية معينة، يمثلها «فريق أوسلو»، تعتقد أنها حققت شيئاً. بالنسبة إلى الجبهة، لا نعتقد أن شيئاً قد تحقق. ماذا عن الجماهير في الداخل والخارج؟ ماذا عن مصالح الناس الفقراء؟ ماذا عن أهداف ومصالح الشعب الفلسطيني الوطنية والقومية؟

الموضوع الثالث، الذي يجب أن نأخذه في الاعتبار، هو النظرة إلى الجماهير. «فتح»: أموال وجماهير وعقلية استخدامية. قد لا يتصور البعض حجم كارثة الفساد والإفساد التي تعرضت لها الجماهير الفلسطينية؛ هذه الجماهير العظيمة، التي تخطت كل الحروب ومحاولات التهميش والقهر، وتصدت للآلة العسكرية الصهيونية في الخارج والداخل بأروع ما يكون، نجدها بعد ٣٠

عاماً تقف، في ظل قيادة البورجوازية، يائسة محبطة وهي تشاهد مستوى الدمار الداخلي ممثلاً في تدمير التجربة والإنجازات والمؤسسات الوطنية واغتيال الديمقراطية على يد أجهزة قمع السلطة؛ إنها تعيش الآن مرحلة صعود المافيات واستخدام العلاقة بالاحتلال لاحتكار قضايا الناس الحياتية.

هنا، وعلى الرغم من أنني أحمِّل المسؤولية الأساسية لفريق سلطة الحكم الذاتي، فإنني لا أعفي قوى المعارضة، وخصوصاً القوى الديمقراطية الفلسطينية، من مسؤوليتها عن الحالة التي وصلت إليها القضية الفلسطينية، كونها في الحقيقة لم ترتق إلى مستوى المهمات، ومستوى الأسئلة، ومستوى برامجها وأهدافها المعلنة.

هنا تفترق الجبهة عن «فتح»، إذ ترى الجبهة الشعب مرادفاً للنهوض والتقدم والديمقراطية والترابط بين الوطني والقومي.

والآن سأجيب عن سؤالك عن الكفاح المسلح. الجبهة كانت تقول، فعلاً، بالكفاح المسلح. بعد ذلك جاءت الانتفاضة. في الكفاح المسلح الفدائيون يقاتلون. أمّا في الانتفاضة فالشعب الفلسطيني كله يقاتل: الأطفال يقاتلون؛ المرأة تقاتل؛ الفنانون يقاتلون. مع الانتفاضة راهنت، أول مرة، على أن من الممكن تحقيق الحرية والاستقلال على جزء من فلسطين. كنت أقول في نفسي: لو استمرت الانتفاضة على هذا النحو فستضطر إسرائيل إلى الرضوخ.

خسائر إسرائيل الاقتصادية ارتفعت بنسب عالية بسبب الانتفاضة. كان الناس مستعدين للاستمرار في الانتفاضة، وأصبح مشروع الدولة ممكناً. أقول ممكناً، ولا أجزم. أُدرك الآن أن هناك من تعامل مع مسألة الكفاح المسلح باعتباره طقساً مقدساً. لقد تخطينا في الجبهة هذا الفهم الذي ساد الشارع الفلسطيني وحركته الوطنية في بعض المراحل، أقصد أن الكفاح المسلح نراه الآن كمكوّن داخلي من الرؤية السياسية الأشمل للصراع.

بهذا المعنى فهو في خدمة تلك الرؤية، والأخذ به أو رفضه ليس مسألة ذاتية أو وجدانية؛ إنه انعكاس موضوعي لطبيعة الصراع التي تتحدد بطبيعة العدو وعقائده وممارسته، هذا من جانب، وبالأهداف التي يناضل الشعب الفلسطيني المشرد والمغتصبة أرضه لتحقيقها من جانب آخر، والتي يستحيل تحقيقها من خلال العمل الدبلوماسي فقط، بل أيضاً من خلال صراع شامل يحظى الكفاح المسلح/والعنف الثوري، في مظاهره كلها، بمكانة خاصة فيه، من دون أن يعني هذا تناقضاً مع أي شكل آخر من أشكال المواجهة السياسية، والثقافية، والاقتصادية.. إلخ.

في الواقع، إن خيار أوسلو بقدر ما بدد إنجازات مرحلة الكفاح المسلح بدد أيضاً إنجازات الانتفاضة في الوطن المحتل. بل إن وقف الانتفاضة كان شرطاً إسرائيلياً للموافقة على اتفاق أوسلو.

■ لكن ما هو شائع ومعروف أنه عندما بدأت قيادة منظمة التحرير بالمفاوضات كانت الانتفاضة تحتضر؟

□ أبو عمار بدأ إعطاء التنازلات قبل ذلك؛ بدأ في المؤتمر الذي عُقد في الجزائر، وهذا ما حمل إسرائيل على طلب المزيد من التنازلات. لقد ذهب للتفاوض في ظل أسوأ الأوضاع فلسطينياً وعربياً ودولياً.

■ هل تعتقد أن الانتفاضة كان من الممكن أن تستمر لو كانت القيادة في الخارج صلبة ومستمرة في مواقف نضالية أساسية؟

□ نعم. لو كان هناك قيادات قادرة على استخدام طاقات الشعب الفلسطيني استخداماً سليماً، وأوقفت سياسة الهدر، وتخلت عن عقلية المناورة، ووضعت جهودها كلها لحماية الانتفاضة وتقليص ثغراتها، وقامت بتفعيل تجمعات الشعب الفلسطيني المتعددة، وعمّقت الروح الديمقراطية في الممارسة الشعبية، وقامت بدورها للضغط على العرب من أجل تأمين متطلبات الانتفاضة، فإن هناك مليوني فلسطيني مستعدون للنضال عشرة أعوام وأكثر، ولن يكون أمام إسرائيل إلاّ الخضوع، لا على أساس تحرير كامل فلسطين، وإنما على أساس شعار «الحرية والاستقلال» الذي رفعته قيادة الانتفاضة؛ فقد كانت قيادة ذكية عندما قالت إن شعارها هو الحرية والاستقلال، ولم تقل تحرير كامل التراب الفلسطيني.

طبعاً، لا يُفهم من هذا أن الانتفاضة ستستمر إلى ما لانهاية،

لكنها بالتأكيد ستكون وضعت النضال عند مستوى أفضل من حالة الانهيار الراهنة. لنتذكر معاً المناخ المعنوي والسياسي الذي أوجدته؛ لنتذكر التعاطف الدولي ولأول مرة بهذا الوضوح والاتساع مع شعبنا وقضيته، حتى الاستيطان تقلّص وهرب الآلاف من المستعمرات الصهيونية في الضفة والقطاع. ما كان يجب تبديد هذه الإنجازات بتلك الرعونة التي تصرفت بها القيادة المتنفذة.

■ قد يكون مفيداً التوقف عند بعض التفصيلات المتعلقة بالانتفاضة: هل بدأت بصورة عفوية؟ متى وفي أية مرحلة بدأت قيادات الخارج تهتم بموضوع الانتفاضة؟ متى توحّدت قيادة الانتفاضة من أهل الخارج ومن أهل الداخل معاً؟ ما هو وزن الخارج في القيادة، إذا اعتبرنا أن الداخل هو الأساس في الانتفاضة؟ هل حدث انهيار داخلي حتى انتهى كل شيء، ودخلنا مرحلة أوسلو؟

□ لا يمكن فهم الانتفاضة وإدراك دروسها إلاّ من خلال رؤيتها كعملية تاريخية، أي باعتبارها تتويجاً لتراكم نضالات الشعب الفلسطيني؛ إنها استمرار إبداعي لكفاح شعبنا المستمر منذ العشرينات والثلاثينات والأربعينات.. إلخ، حتى هذه اللحظة.

وإني أرى فيها أهداف وآمال عشرات الآلاف من الشهداء الذين سقطوا خلال عقود النضال الطويلة؛ أرى فيها محمد جمجوم، وفؤاد حجازي، وعطا الزير، والشيخ عز الدين القسام، وعبد القادر الحسيني، وغسان كنفاني، وخالد نزال، وأبو جهاد،

ويحيى عياش، وكل الشهداء الأبرار.

بهذا المعنى لا يمكن أن نفهم الانتفاضة على أنها عفوية؛ إنها حلقة وثيقة الصلة بما سبقها من حلقات سلسلة نضالات الشعب الفلسطيني؛ إنها تعكس، بأعلى درجة من العمق والوضوح، طبيعة الصراع والاشتباك التاريخي مع العدو. وهذا أهم دروس الانتفاضة.

لقد حملت الانتفاضة في الوطن المحتل دروساً كبرى تعكس إبداعات الشعب الفلسطيني بغناها وشموليتها وحيويتها. وليس من قبيل المصادفة أن تعبير الانتفاضة دخل معظم قواميس اللغات العالمية.

صحيح أن الشرارة التي أشعلت الانتفاضة تمثلت في استشهاد عدد من العمال في قطاع غزة. لكن سرعة انتشارها، وشموليتها، وعنفها، وديمومتها، وسرعة انتظامها، ووضوح شعاراتها، كل هذا يعكس بُعدها التراكمي وحضور قوى الحركة الوطنية الفلسطينية الفاعل فيها.

دروس كثيرة وكبيرة طرحتها الانتفاضة الباسلة، وعلى رأسها استعداد الشعب الفلسطيني للعطاء، وتمسكه بحقوقه الوطنية والقومية، الأمر الذي ينفي مقولة أن شعبنا تعب. لنتذكر أن الثورة تم ضربها في الأردن ثم في لبنان؛ لقد ساد حينها اعتقاد أن القضية الفلسطينية انتهت. ولنتذكر مؤتمر القمة العربي في عمان، الذي تصرف على أساس أن كل شيء انتهى.

ثم انطلقت الانتفاضة. ما معنى ذلك؟ معناه أن الصراع مستمر

ومتواصل. لقد ضُربت الثورة في الخارج، فهبّ الشعب في الوطن المحتل ليحمي أهدافه ويرفع راية الثورة.

لقد أدركت الجبهة الشعبية جوهر الانتفاضة، فألقت بكل طاقتها للارتقاء بها وحمايتها، فبرزت كقوة رائدة ومكافحة، وتم الاعتراف بها رسمياً القوة الثانية في المجلس الوطني الفلسطيني؛ وذلك في ضوء الوزن والدور الذي أدّته في الانتفاضة.

ومنذ البداية برز نهجان في النظرة إلى الانتفاضة:

النهج الأول، ومثلته القيادة المتنفذة في م.ت.ف.، كان يدفع في اتجاه السيطرة على الانتفاضة والتعامل معها بصورة استخدامية متسرعة، بدلاً من الارتقاء بها وإسنادها بكل الطاقات.

النهج الثاني، والذي حملت رايته الجبهة الشعبية، كان يدفع في اتجاه إطلاق إبداعات الانتفاضة إلى أبعد حد، واعتبار إسنادها بمقومات الصمود مادياً وسياسياً وإعلامياً مهمة أولى، مع ضرورة إعطاء قيادتها الوطنية الحرية في إدارة الصراع وفق معطيات الواقع، والأهم حمايتها سياسياً وعدم تبديد إنجازاتها.

إنني أعتبر هيمنة النهج الأول وتفرّده هما اللذان انتهيا بالانتفاضة إلى أن تصبح ورقة مساومة على طاولات أوسلو.

■ **مَنْ مِنْ قيادات الخارج كان السبّاق إلى التدخل في الانتفاضة؟**

□ أبو جهاد (خليل الوزير)، رحمه الله. تدخل بصورة مباشرة وحدّ قدر الإمكان من تدخلات أبو عمار.

■ **في أي مرحلة تدخل أبو جهاد؟**

□ منذ البداية.

■ **وغير أبو جهاد من التنظيمات الأُخرى؟**

□ شُكِّلت قيادة في الخارج، سُميت «اللجنة العليا للانتفاضة»، من ممثلين عن الفصائل الفلسطينية الأساسية الفاعلة. وقد بادر أبو جهاد إلى تأسيسها؛ لقد كان ديمقراطياً إلى حد ما.

■ **كيف كانت العلاقات بين التنظيمات في هذه المرحلة؟**

□ عندما نشبت حرب ١٩٦٧ وحدث الانهيار الكبير وسنحت الفرصة للنضال الفلسطيني، كان في ذهننا، كجبهة شعبية، تجربة فيتنام وتجربة الجبهة القومية في اليمن. سعينا لتأسيس جبهة وطنية عريضة تضم الجميع. ولو تم ذلك لتغيرت أمور كثيرة. قمنا، وديع وأنا، بالمساعي. وكان عدد التنظيمات في ذلك الوقت خمسة فقط: «فتح»، وشباب الثأر (لم تكن الجبهة قائمة آنذاك)، والصاعقة، وجبهة التحرير الفلسطينية (أحمد جبريل)، وأبطال العودة.

كنا نعمل في اتجاه تشكيل جبهة من هذه التنظيمات عندما فاجأنا أبو عمار بذهابه إلى الداخل وأعلن أن الوحدة الوطنية تتحقق في الميدان، ومن يريد فلينزل إلى الميدان. وكأن كل ما هو موجود في الخارج لا يساوي شيئاً؛ هكذا ضُربت الفكرة الأساسية من بداياتها.

بدأنا نتعامل مع «فتح» على أساس العلاقة التي يجب أن تقوم بين قوى تواجه عدواً واحداً. كانت العلاقات تتراوح بين الوحدة،

التناقض/الصراع، الوحدة... هذا هو القانون الذي حكم علاقتنا، كجبهة، بـ«فتح» تاريخياً. أصبح عدد التنظيمات بعد ذلك ٧ ـ ٨ تنظيمات، ووصل أحياناً إلى عشرة. لكن الجماهير كانت تنظر إلى «فتح» والجبهة الشعبية على أنهما الأساس. طبعاً، الآن هناك شيء جديد: التيار الإسلامي.

لقد اتسمت قيادة أبو عمار بالفردية. لم يكن الموضوع موضوع تحالف طبقات أو قوى على أساس علمي وواضح. ولقد دمرت القيادة الفردية كل شيء. وإذا بدر مني، في هذا السياق، بعض التعابير فلأنني أعرف حجم الدور التخريبي الذي قامت به القيادة الفردية في تدمير الثورة.

ستقول لي: أين كنتم؟ هذا موضوع جدي ومعقد؛ كنا نعمل للتخلص من صيغة القيادة الفردية، وقد حاولنا جدياً. كان عرفات يراهن على السادات، وفاجأ الأخير الجميع بذهابه إلى القدس المحتلة. لقد سنحت حينها الفرصة للعمل الموحَّد، وقامت جبهة الصمود والتصدي، وعُقد وقتها اجتماع في طرابلس (ليبيا) تحت عنوان: توحدوا يا فلسطينيين، فقلنا حسناً نريد التوحد لكن على أي أساس.

ذهبنا، كجبهة شعبية، ومعنا برنامج سياسي تنظيمي جيد. ثم عدنا إلى دمشق ونحن مصممون على تصحيح الوضع السياسي والوضع التنظيمي. فيما يتعلق بالعنوان السياسي، كان أبو عمار يوافق على كل شيء. أمّا على الصعيد التنظيمي، الذي كان يهدف

إلى الارتقاء بالوضع القيادي والمؤسساتي الفلسطيني وإنهاء ظاهرة القيادة الفردية، فقد كانت الجبهة قادرة حينها على تجميع كل التنظيمات، بما في ذلك قسم من «فتح»؛ مثل التنسيق مع أبو أياد وأبو صالح، رحمهما الله.

لكن للأسف، غيّر بعض الفصائل آنذاك مواقفه المعلنة وساند عرفات، وهكذا فشل الموضوع. هذه كانت إحدى الفرص.

لقد سنحت لنا عدة فرص لتصحيح الوضع التنظيمي، لكنها لم تصل إلى الهدف المنشود. أولاً في بداية الكفاح المسلح، عندما طرحنا موضوع الجبهة الوطنية العريضة. والمناسبة الثانية المجلس الوطني الذي عقد في دمشق سنة ١٩٧٩. والثالثة في أثناء الانتفاضة. قد يقول البعض: «حرام»، ماذا يستطيع أبو عمار أن يفعل، هل أمامه خيارات؟ وما هي الخيارات؟ نعم، كان أمامه خيارات، وحتى هذه اللحظة أمامه خيارات.

وبعيداً عن التفصيل، أود أن أسأل: ما هو الناظم لأي خيار؟ هل الخيار عندما يرتبط بحقوق ومصالح شعب أرضه مغتصبة مسألة فردية، وخاضع للقرارات الشخصية؟ إن الهبوط بالمسائل المصيرية والكبرى إلى هذا المستوى من الاستخفاف لن يقود إلاّ إلى الانتحار السياسي.

إن الخيارات عندما تتعلق بقضية الشعب الفلسطيني تصبح مشروطة بالحفاظ على حقوق هذا الشعب، والسير الفعلي والواضح نحو تحقيقها، وإلاّ يفقد أي خيار سياسي أساسه ومقوماته الوطنية،

ويمكن أن يكون أي شيء باستثناء وصفه بأنه وطني. عندما يرفض العدو المحتل الإقرار والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني، حتى في حدّها الأدنى، هل يصبح الخيار الهبوط إلى مستوى القبول بما يعرضه علينا من عروض، حتى لو كانت نتيجتها تصفية حقوقنا الراهنة والتاريخية. إن إقرارنا بهذا الفهم يعني أننا لم نكن بحاجة إلى كل هذه التضحيات، فلسطينياً وعربياً، وكان في الإمكان منذ البداية الذهاب إلى إسرائيل والقول: ماذا تريدون؟ نحن نقبل بكل شروطكم.

خطف الطائرات والمدنيين

■ هناك موضوع يُنظر إليه أنه أحد المآخذ على الجبهة، لا بمعنى خطأ يُرتكب، وإنما بقدر ما له من جذور وامتداد في فكرها وتنظيمها. إنه مسألة الموقف من خطف الطائرات وقتل مدنيين وخطف الأجانب.. إلخ. هل يخضع هذا الموضوع اليوم لنوع من المراجعة والنقد الذاتي، أم أن هناك وجهة نظر أُخرى يمكن أن تشرحها؟

□ نعم، سمعت منك أن ثمة ملاحظات تتناول الجبهة. أرجوك، ثم أرجوك، ثم أرجوك أن تكون هذه الملاحظات كلها في هذا الكرّاس، لأنني حريص في الواقع على جلائها. هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى أنا وقفت أمام ضميري، كما قلت لك، عندما أتيت إلى هذا الحوار وكأنني أمام التاريخ، فلا تتردد في طرح أي

سؤال؛ إنها فرصة لنا جميعاً، علماً بأن الجبهة كانت تحرص في كل مؤتمر من مؤتمراتها على مراجعة أخطائها ونقدها.

الآن فيما يتعلق بموضوع خطف الطائرات: كانت لدينا لجنة استشارية من أساتذة فلسطينيين وأصدقاء آخرين. هذه اللجنة أثارت مسألة القنبلة الذرية الإسرائيلية، وضرورة إثارة انتباه العالم إلى هذا الموضوع. وقد تحدثت عن القنبلة الإسرائيلية مع عبد الناصر. ثم فكرنا، وديع وأنا، ملياً في الوسائل التي يمكن أن تلفت أنظار الرأي العام في العالم إلى الظلم الذي لحق بالشعب الفلسطيني. طرح وديع فكرة خطف طائرات، وكان يحرص في توجيهاته لمنفذي العمليات، باستمرار، على تأكيد عدم إلحاق الأذى بأي إنسان، وبأي شكل من الأشكال. كنا نريد القيام بعمل يشدّ أبصار العالم كله؛ كان هذا هو الموضوع. وفي ذلك الوقت لم نقم بأي عمل بهدف الإضرار بالركاب.

■ **هل تعتقد أن خطف المدنيين اجتذب أنصاراً ومؤيدين للقضية الفلسطينية؟ ليتصور الإنسان نفسه في طائرة مخطوفة حتى لو كان متعاطفاً في الأساس مع القضية، فإن الحالة التي يعيشها ومن حوله كل هذا الرعب الذي يشمل النساء والأطفال، ستؤثر سلباً في تعاطفه؟**

□ ليس بالضبط. نحن أوقفنا العمل بهذا الأسلوب منذ سنة ١٩٧٢. لكن في ضوء الأعوام الثلاثة التي جرت فيها العمليات، كان التقويم أنها أحدثت صدى. ينبغي ألا نقوّم المسألة فقط ارتباطاً

بالعشرين أو الثلاثين أو حتى الألف راكب، الذين عاشوا فعلاً تجربة مريرة بالمعنى الشخصي، لكن على صعيد العالم، ككل. كان تقويمنا أن العمليات جعلت العالم يقف على معاناة شعبنا.

أما بالنسبة إلى المدنيين الإسرائيليين، فقد كان هناك وجهة نظر تقول إنهم كلهم مستوطنون. أنا من الناس القائلين إنهم جميعاً مستوطنون. ومع ذلك كان تركيزنا على الجنود. إنني أدرك أن للجانب الخلقي مكانته في الصراع. لكن المثير أن ردات الفعل الصاخبة تأتي عادة من تلك القوى التي تدعم إسرائيل وتساندها. ولو أخذنا بحصيلة إجمالية لوجدنا أن إجمالي عدد الضحايا المدنيين الذين سقطوا نتيجة إرهاب الدولة الصهيونية، فلسطينياً ولبنانياً وعربياً، يفوق عشرات المرات عدد المدنيين الإسرائيليين الذين قُتلوا. لنتذكر مسلسل المجازر الصهيونية منذ الثلاثينات والأربعينات والخمسينات إلى اليوم: دير ياسين، وكفر قاسم، والأقصى، والحرم الإبراهيمي، ومدرسة بحر البقر في مصر وأبو زعبل، والطائرة الليبية المدنية، ومجزرة قانا.. هذه بعض الأمثلة القليلة.. هكذا، لنحاكم المسائل بصورة تعيدها إلى جذورها لا بالوقوف فقط عند بعض تفرعاتها الثانوية.

■ **ثمة عمليات انتحارية أو أعمال تفجير في أسواق شعبية. في العملية الانتحارية الأخيرة في القدس قُتلت طفلة هي حفيدة متتياهو بيليد، الذي كان انتهى إلى موقف إيجابي من القضية الفلسطينية قبل وفاته، وابنته والدة الطفلة التي قُتلت أخذت موقفاً جيداً وقالت**

إن المسؤول عن قتل ابنتها هو نتنياهو، هل تؤيد التفجير أم تشجبه؟
□ أنا أؤيد جواب السيدة، سياسات الاحتلال هي المسؤولة عن حياة تلك الطفلة وغيرها.

■ **هذا موقف جيد من يهودية إسرائيلية. لكن ما هو موقفكم أنتم من تفجير عشوائي يصيب، فيمن يصيب، متعاطفين يهوداً وربما أيضاً عرباً؟ هل تعتقد أن هذا يفيد القضية؟**
□ نحن، كجبهة، نؤمن باستخدام مختلف أشكال النضال لاسترداد حقوقنا المغتصبة. وبالتأكيد ليست نقطة الانطلاق في رؤيتنا الإضرار بالمدنيين. ليس هذا هدفنا ولن يكون؛ فالنضال بالنسبة إلينا ليس فعلاً عبثياً، وإنما هو موجه في الأساس إلى آلة الاحتلال العسكرية والأمنية والاقتصادية لإجباره على الإقرار بحقوقنا. فرفضه الاعتراف بتلك الحقوق، وممارسته لأبشع أنواع الإرهاب للحيلولة دونها، هما السبب في ما يصيب المدنيين الفلسطينيين والعرب أولاً، والإسرائيليين ثانياً.

وعليه، فإن كل عمل ينتقص قوة الاحتلال وتماسكه، وفق رؤيتنا السياسية المستندة إلى مصالح شعبنا وحقوقه، هو بالتأكيد مفيد لقضيتنا ونضالنا. وليس صحيحاً أو خلقياً قلب المعادلات، وتحميل الضحية مسؤولية صراع دموي فُرض عليها.

أمّا من يطالبني بإدانة تلك العمليات فإنني أقول: كلاّ. لماذا؟ لأنني لست المسؤول، ولا حتى الإنسان الذي يقوم بهذا العمل هو المسؤول. هنا أريد أن أؤكد مسؤولية إسرائيل. يجب العودة إلى

جذور القضية وتحديد المسؤولية. ما قالته السيدة والدة الطفلة القتيلة هو الشيء السليم.

■ **الجبهة مطالبة بموقف، لا من الأعمال التي تقوم بها فحسب، بل أيضاً من الأعمال التي ينفذها آخرون على الساحة؟**
□ موقفنا هو العمل الانتفاضي وتكامل أشكال النضال لتحقيق أهدافنا والدفاع عن أنفسنا، الأمر الذي يبيحه لنا منطق العدل والقانون الدولي والشرعية الدولية. نحن نريد تحرير فلسطين من خلال الكفاح المسلح، والعمل الانتفاضي، والنضال الثقافي والاقتصادي.. إلخ. وبالتالي فإن نضالنا يتوالى من أجل استرداد حقوقنا لا من أجل المساس بالمدنيين.

تجربة المقاومة في الأردن ولبنان

■ **ما هي أهم دروس تجربة المقاومة في الأردن وفي لبنان؟**
□ ظاهرة الكفاح المسلح في الثورة الفلسطينية لم تكن قائمة، ولم يكن من الممكن أن تقوم قبل حرب ١٩٦٧. إنها جاءت رداً طبيعياً على واقع الهزيمة. إنها ردة فعل شعبية ومنظمة؛ فماذا يُنتظر من شعب ضاع وطنه وشُرِّد في المنافي بقوة الحديد والنار لفرض مشروع استيطاني من أقسى أنواع الاستعمار وأعنفها؟!

ماذا ينتظر العالم من شعب يتعرض للاحتلال بأبشع تجلياته في وقت يتجه العالم نحو تصفية ذيول الاستعمار على مساحة الكرة الأرضية بكاملها؟!

هذا ما يفسر نشوء ظاهرة الكفاح المسلح في الأردن. إنها ظاهرة نشأت، في الواقع، بعد انهيار الجيش الأردني الذي سارعت الولايات المتحدة إلى إعادة بنائه على أسس متعارضة مع الثورة. وفي ضوء هذا الواقع وتشابكاته وتناقضاته، نشأ وضع أصبحت فيه الثورة الفلسطينية بين نارين: جيش إسرائيلي قوي، وجيش أردني (٧٠ ألف جندي) لا يمكن القول إنه معادٍ مثل إسرائيل، لكنه كجيش نظامي أصبح في حالة صدام مع قوى الثورة.

لقد أصبحت الثورة ـ وكانت علنية ـ في حالة صعبة جداً. وكان يفترض ضمن هذه الأوضاع أن تنتهي، مع أنه كان في متناول يدها مجموعة أسلحة تمكنها من البقاء لو أحسنت استخدامها: السلاح الأول، إقامة وحدة وطنية حقيقية بكل ما للكلمة من معنى، ثم تعبئة الجماهير الفلسطينية، ثم التحالف مع الجماهير الأردنية ممثلة في الحركة الوطنية الأردنية.

ما جرى هو أن «فتح» أهملت كلياً الحركة الوطنية الأردنية. أمّا الجبهة، ومع أنها طرحت هذا الموضوع الحساس، فإنها لم تفصل بين الثورة والحركة الوطنية المستقلة. ثم هناك التحالفات العسكرية العربية؛ فقد كان في الأردن جيش عراقي، وبالقرب منه جيش سوري. لم تكن هناك رؤية للوضع بشموليته. ربما كان حال اليسار أفضل في رؤيته، لكنه لم يصل إلى المستوى المطلوب. طبعاً من حق الناس أن يتحدثوا عن الشيء الملموس؛ وهنا لا أقلل من أهمية الأخطاء المسلكية التي وقعت فيها المقاومة في الأردن،

والتي لا يمكن تبريرها.

كنت ألمس ما يتحدث به الناس على هذا الصعيد. فمن غير المنطقي والعملي التغاضي عن الأخطاء، لكن الأهم عدم نسيان المخططات الإمبريالية المعادية. هناك أخطاء كبيرة وقعنا فيها في شباط/فبراير وحزيران/يونيو وأيلول/سبتمبر ١٩٧٠. لقد وقعت المقاومة في أخطاء، كما جرى تصميم وفبركة أخطاء لتغذية حالة الانقسام في الشارع الشعبي وتأجيج الغضب ضد المقاومة لتبرير ضربها، وبقوة، لاحقاً.

■ حتى لو كان هناك نظام وطني وجيش وطني، هناك مسألة أكثر تعقيداً تتعلق بقدرة الثورة على أن تتحرك في حضن النظام ولو كان وطنياً، فللنظام/الدولة حساباته وللثورة حساباتها؟

□ لنأخذ التجربة الفيتنامية؛ ففي فيتنام حدث تعايش ما بين ثورة مسلحة ونظام الحكم.

■ هذا نموذج مختلف تماماً، لا ينطبق على حالتنا. الثورة والنظام في فيتنام كانا جزءاً من معسكر كرّس إمكاناته لتلك الحرب في مواجهة الولايات المتحدة.

□ هناك فارق بين نظام رجعي يهدف إلى ضرب الثورة، وبين التعارضات التي يمكن أن تقوم بين ظاهرة حركة وطنية (تعتمد الكفاح المسلح لتحقيق أهدافها) ونظام وطني. صحيح أن التعايش صعب بين سلطتين في مكان واحد، لكن يجب أن نرى الفارق بين التجربة التي عشناها وبين نظام وطني يعمل على إدراك وتفهم

مطالب وأهداف الثورة، وبالتالي احتضانها وتمكينها من بناء قاعدة لها من دون أن يفرط في سلطته؛ وهذا بالتأكيد يفرض تنظيم العلاقة وتحديد التخوم.

■ **على الصعيد العربي، لا يوجد نموذج؟**

□ لم يكن عندي تصور ووضوح كاملان تجاه هذا الأمر كما هو الحال اليوم. في ذلك الوقت، كان التصور أن الانهيار أصاب الأنظمة وجيوشها، وأن في إمكاننا العمل من خلال قواعد نقيمها في المنطقة المحيطة بإسرائيل. كان تصوري أن نقيم قواعد أيضاً في سورية، فزجوا بي يومها في السجن.

بالنسبة إلى لبنان، تمثلت خصوصيته في أن جيشه صغير (٨٠٠٠ جندي فقط)، عدا أن تجربتنا وخبرتنا نضجت أكثر. ثم هناك الموضوع الطائفي الذي أدى إلى قيام تناقضات بين الثورة والجماهير. في المقابل، هناك فارق إيجابي هو التحالف بين الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية. لكن كان هناك أخطاء في هذا المجال أيضاً؛ لقد أراد أبو عمار أن يسيطر، ولو كانت له رؤية بعيدة لأعطى القيادة للحركة الوطنية اللبنانية.

■ **لقد تم التعامل مع لبنان في حقبة الحرب الأهلية (وغير الأهلية) على أنه «ساحة» و«أرض محروقة»، فدُمِّر لبنان كوطن وكبشر من دون رحمة «عربية»، ومن دون مسؤولية عربية، فهل توقفتم في الجبهة أمام هذا الأمر عند مراجعة أحداث لبنان؟**

ثم هل تعتقدون أن الحركة الوطنية اللبنانية كانت متقدمة،

فكراً وممارسة، في فترة الحرب، وهل كان حدث تغير أساسي في مسار الأحداث لو أعطيت القيادة لها؟

□ ما تعرض له لبنان مؤلم جداً، يهز العقل والوجدان، الأمر الذي يفرض الوقوف العميق وبمسؤولية أمام دروس الأحداث والصراعات التي دارت رحاها في هذا البلد العزيز والغالي بشعبه وأرضه، وبالتالي دراسة الأسباب التي تعود في الأساس إلى الاختلالات والتناقضات البنيوية الناجمة عن التراكم التاريخي لمكونات الأزمة السياسية ـ الاقتصادية ـ الاجتماعية التي وجدت فيها العناصر الخارجية التربة الملائمة للفعل والتفاعل.

بالنسبة إلينا في الجبهة الشعبية، فقد كانت الأوضاع في لبنان عنواناً شبه دائم في مؤتمراتنا وهيئاتنا القيادية، وكان يحكم مواقفنا ثلاثة معايير أساسية: مصلحة الشعب اللبناني؛ مصلحة الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية؛ التصدي الحازم لمخططات الكيان الصهيوني واعتداءاته.

إنني أدرك عمق الجروح التي تتركها الصراعات، وما تثيره من حساسيات ومشاعر، وخصوصاً عندما يجري تغذية وشحن تلك الحساسيات بالكراهية والأنانية والاستخفاف بمشاعر الجماعات البشرية وكرامتها، الأمر الذي يؤدي إلى تغييب ما هو جوهري وأساسي تحت ركام الانفعالات والغرائز المنفلتة، سواء اتخذت الشكل الطائفي أو السياسي أو القطري.

إن الوصول بالعلاقات إلى هذا المستوى من الانحطاط

الخلقي والفكري يعني، في العمق، الإساءة إلى الذات أولاً، وإلى الآخر ثانياً.

وهذا، بالضبط، ما دفع الجبهة الشعبية في لبنان إلى إصدار وثيقة مهمة تحت عنوان «فلسطينيو لبنان وخيار المصالحة التاريخية مع الذات والآخرين»، تركز هدفها في الأساس على هذا الإشكال، أي إعادة الاعتبار إلى بديهة بسيطة هي أن كرامة اللبناني ومصلحته من كرامة الفلسطيني ومصلحته، والعكس صحيح بالمقدار نفسه.

وإن ما يجمعنا ويوحدنا كأبناء أمة واحدة ومصير واحد أسمى كثيراً من عناصر الافتراق، وأعمق منها كثيراً.

والوحدة هنا تأخذ أبعادها الخلاقة والإبداعية على قاعدة الإقرار بالتنوع والفرادة والخصوصية التي لا معنى جوهرياً لها إلاّ في إطار العام الموحّد الذي، بدوره، لا يجد معنى يحفظ شرعيته إلاّ من خلال اعتباره التنوع والخصوصيات، على أشكالها، مكوناً أصيلاً من الذات العامة. وخارج هذا الناظم تتحول الخصوصيات إلى مولّد دائم للصراعات والاستنزاف الداخلي المدمر، كما يتحول العام إلى قوة كبح تهدف إلى فرض التجانس المميت؛ هكذا تتأسس ديناميات اغتيال الحرية والديمقراطية باستمرار.

فيما يتعلق بالشق الثاني من السؤال، لا أستطيع الجزم أن النتائج كانت ستختلف جذرياً، لأنني أدرك عناصر الضعف والخلل الجدي التي كانت تعانيها الحركة الوطنية اللبنانية آنذاك، سواء على صعيد وضوح ودقة برنامجها السياسي - الاجتماعي، ولا أقول

أهدافها التي أُقر بأنها نبيلة وعادلة، أو على صعيد بنيتها التنظيمية ووحدتها.

إنها، في الواقع، لم تستطع أن تتقدم ببرنامج ورؤية يتخطيان الواقع المأزوم. لقد جاءت اندفاعتها أقرب إلى ردة الفعل، ولهذا بقيت خاضعة، في ممارستها السياسية والاجتماعية والتنظيمية، للثقافة المهيمنة.

وهنا أستدرك لأشير إلى نقطة مهمة هي أن التركيبة اللبنانية بكل عناصرها التاريخية، وخصوصاً الطائفية السياسية والحسابات الإقليمية، هي من الثقل والخطورة والتجذّر بحيث تحتاج من أجل تخطيها إلى حركة سياسية قوية وناضجة، قادرة على مواجهة القوى السياسية والاجتماعية الكابحة للتغيير الجدي. ذلك بأن الفكر والثقافة الطائفية في لبنان ليسا فكراً وثقافة مقصورين على بعض القوى السياسية وبعض النخب؛ إنهما فكر وثقافة يحتلان حيزاً واسعاً في الوعي الشعبي. وبالتالي فإن إحداث عمليات إزاحة تقدمية، على هذا الصعيد، عملية ذات طابع وشروط تاريخية.

لقد وضع ما تقدم وسواه الحركة الوطنية اللبنانية دائماً في موقع المتأثر والمتلقي والتابع لعناصر الفعل الخارجي. وأبرز مثال لذلك هيمنة اليمين الفلسطيني في لبنان على قرار تلك الحركة، الأمر الذي أفقدها شرطاً حاسماً من شروط استقلالها، وبالتالي أخضعها لاستراتيجية اليمين القاصرة والضيّقة.

وكرر اليمين الفلسطيني خطأه القاتل في الأردن بتعامله

مع الحركة الوطنية بعقلية الاستخدام. وقد كانت رؤيتنا في الجبهة الشعبية تقوم على الانشداد باستمرار إلى العدو الرئيسي، إسرائيل، وعلى الإسناد اللامحدود للحركة الوطنية اللبنانية ومشروعها الديمقراطي ـ التقدمي.

لهذا، كنا نؤكد باستمرار أن القيادة يجب أن تكون كلها في يد تلك الحركة، التي عليها بالتأكيد أن تقدم رؤيتها الواضحة في مواجهة العدو الصهيوني إلى جانب رؤيتها السياسية ـ الاجتماعية لمعضلات الواقع اللبناني.

ولقد جعلت عناصر الضعف والثغرات والاختلالات الجدية، المشار إليها، الحركة الوطنية مصادَرَة القرار والصلاحيات؛ وهذا ما أفقدها القدرة على إدارة الصراع الداخلي، وعلى مواجهة التحديات الإسرائيلية بحيوية وفعالية.

في النهاية أود القول إننا لم نكن نتوقع أن يحدث انقلاب شامل وتاريخي في لبنان بضربة واحدة، لإدراكنا حجم المؤثرات والحسابات الإقليمية ودقة التوازنات الداخلية. لكننا كنا نأمل بنقلة أولى تؤسس لنقلات لاحقة إلى الأمام، نحو لبنان ديمقراطي ـ تقدمي. وهذا الهدف لا يزال مطروحاً حتى الآن أمام الحركة الوطنية اللبنانية والقوى الشعبية بكل تياراتها وتلاوينها.

العمل العسكري من خارج فلسطين

■ هل ترى أن ثمة مجالاً بعد لعمل عسكري مسلح من خارج فلسطين؟

□ لا أستطيع القول إنه لا يجوز لنا أن نفكر في ذلك، وفي أن تجربة الكفاح المسلح لا يمكن أن تتكرر بأي شكل من الأشكال؛ فهناك أشياء كثيرة قد تتغير. وفي هذه الحالة، إذا عرفنا ما هي الأخطاء التي ارتكبناها، لا يجوز أن ننسف فكرة الكفاح المسلح التي تؤدي دوراً في مواجهة العنف الصهيوني وإضعاف إسرائيل. فإذا أخذنا بما ذكرت آنفاً، وأخذنا بعين الاعتبار تثوير الجماهير اللبنانية والأردنية، وصار النضال مشتركاً حقاً، عندها يمكن أن نفكر في موضوع الكفاح المسلح.

وهنا لدينا تجربة «حزب الله» الناجحة حتى الآن. بصورة عامة، لا نستطيع أن نلغي حقنا في استخدام كل أشكال النضال المتاحة ضد العدو بصورة اعتباطية، ذلك بأن أشكال النضال وصيروراته تحددها طبيعة الصراع وطبيعة العدو. لا يجوز الوصول إلى تعميمات متسرعة نتيجة ما نعيشه من حالات تراجع أو فشل، فلهذا الأمر أسبابه، لكنه لا يمس جذور الصراع ومرجعياته الفكرية والمنهجية التي تمنع الوصول إلى نتائج إطلاقية قسرية تحت ضغط اللحظة وشجونها، وإلاّ لن تستقر الرؤية وستبقى مهتزة ومشوشة وغير ثابتة.

المعطيات والتوازنات تتغير على جانبي خريطة الصراع، لكنها

لا تلغي الصراع. وما دمنا نقر بموضوعية الصراع وطابعه التاريخي فهو بطبيعته مفتوح على كل الاحتمالات.

■ **ما هي في رأيك عناصر نجاح تجربة «حزب الله»، وبماذا تختلف عن تجربة المقاومة الفلسطينية في لبنان؟**

□ هناك أربعة عناصر أساسية: الأول أن «حزب الله» ينطلق من على أرضه، ووسط جماهيره؛ الثاني السرية التي يحيط بها جهازه العسكري وقياداته، وعدم الاحتفاظ بمواقع ثابتة، واعتماد الحركة في استراتيجيته وتكتيكه بصورة بارعة؛ الثالث أن «حزب الله» موحد القيادة؛ الرابع أن تجربة «حزب الله» جاءت لتتوج تجاربنا المريرة والدامية، فمن الطبيعي والحال هذه أن يستفيد من مخزون التجربة، السلبي والإيجابي، فلا يكرر الأخطاء التي وقعنا فيها.

إنني أفهم الرأي السائد الآن، وخلاصته أن علينا التركيز على الداخل. وربما ظل هذا سائداً لوقت طويل، لكن موضوع إسرائيل طويل ومعقد، وقد يستمر نضالنا في مواجهة هذا الخطر الذي يهدد المنطقة كلها خمسين أو سبعين عاماً آخر. وخلال هذا الوقت الطويل سنقاتل بكل الأسلحة التي تتوفر لنا عبر الأجيال؛ كل الأسلحة، وعلى كل الجبهات.

■ **لنفترض أن التسوية الجارية انتهت خلال أعوام إلى إرساء وضع جديد في المنطقة، قائم على تسوية مقبولة من الأنظمة العربية القائمة. ألا يجدر بنا أن نفكر في أنه قد يكون لدينا في حالة السلم مع إسرائيل أسلحة أكثر فعالية من تلك التي استعملناها في حروبنا**

السابقة؟ فلطالما واجهنا إسرائيل بالسلاح الذي تتفوق به علينا. أمّا إذا كان الصراع حضارياً وثقافياً واقتصادياً وطاقات بشرية، فإن لدينا في هذه المجالات كلها أساساً نستطيع أن نبني عليه.

□ أنت تتحدث كأن المشروع الأميركي للتسوية يتقدم نحو النجاح، وأنا أقول إن أمامه عقبات كبيرة. وحتى لو انتهى بالشكل الذي تطرحه، أي أن تكون الدول العربية قد استسلمت ووافقت على التسوية المطروحة، فإن التناقض سيستمر، والصراع سيعاوَد بأشكال متنوعة.

في معركة استقلال الجزائر، مثلاً، التي امتدت أكثر من مئة عام، كان هناك فترات هدوء، ثم كان القتال لا يلبث أن يندلع من جديد. لا مجال للتعايش، ولا مجال لسلم حقيقي، وستكون هناك ممانعة فلسطينية وعربية لشروط الاستسلام وللمشروع الصهيوني. أنا لا أتصور أنه في فترة من الفترات سيكون هناك سلام حقيقي، لماذا؟ لأن تصوري يقوم على رؤيتي لطبيعة الغزوة الصهيونية وأهدافها، والتي لا يمكن لأمتنا أو لشعبنا أن يستسلما أمامها، وإن مرت فترات هدوء، قد تقصر أو تطول.

بهذا المعنى نقول بالاشتباك المفتوح. وهذا يشمل الصراع في كل ميادين الواقع ـ السياسة والاقتصاد والثقافة.. إلخ، لا لأننا نريد ذلك وإنما لأن مشروع العدو يدخل هذه الجوانب جميعاً في الصراع بصورة إجبارية. ولعل عدم إدراك هذه الحقيقة بصورة مبكرة والعمل على أساسها هما اللذان قادا إلى الكثير من الهزائم وتبديد

الإمكانات والوقوع في الخطأ، من نوع أن حسم الصراع وتحقيق الانتصار يمكن أن يتما باعتماد شكل محدد في الصراع من دون بقية مكونات سلسلة القوة، إن جاز التعبير.

■ **ثمة من يفترض السيناريو التالي: تطوير سياسة فلسطينية وعربية قادرة على وضع نظام نتنياهو خلال بقية ولايته أمام طريق مسدود، وكسب المزيد من تعاطف الرأي العام العالمي مع قضيتنا. يعود حزب العمل إلى الحكم ويوافق على تسوية مع سورية: جولان كامل في مقابل سلم كامل، ويصل مع الجانب الفلسطيني إلى تسوية تقبل بها القيادة الفلسطينية. يفجّر هذا التناقضات الحادة في المجتمع الإسرائيلي (مقتل رابين)، هل نستطيع الاستفادة من قيام مثل هذا الوضع وتحويل مجرى الصراع لمصلحتنا؟**

□ هذه فرضية من الصعب جداً أن تتحقق. نقاش هذه الفرضية يستدعي الوقوف بعمق أمام طبيعة المشروع الصهيوني وأهدافه وطموحاته وخط سيره التاريخي، وبالتالي السياسي ـ الفكري ـ الاقتصادي.

وهذا بدوره ينقلنا إلى الوقوف أمام طبيعة التناقضات داخل إسرائيل، وما هي محدداتها وسقوفها، وبالتالي الوصول إلى السؤال: فيمَ يختلف حزب العمل وتكتل الليكود؟ وهل يصل الخلاف بينهما إلى المستوى الذي يقر فيه أحدهما بالحقوق الوطنية والقومية العربية، حتى ضمن معادلة السلام المطروحة؟

هناك ثوابت لا يتخطاها أي من الحزبين، وهي: الحفاظ

على تفوق إسرائيل؛ تقليل التنازلات إلى أدنى مستوى ممكن؛ اتفاق على المستعمرات، مع خلافات طفيفة؛ اتفاق على القدس؛ أن يكون الكيان الفلسطيني من دون سيادة أو قوة، حتى لو سُمّي دولة.

إذاً، تعقيدات المعادلة ليست فقط في هل يقبل العرب والفلسطينيون بالمطالب والشروط الإسرائيلية، سواء على الصعيد الشعبي أو على الصعيد الرسمي، بل ـ وهذا هو الأهم ـ يكمن التعقيد الأكبر في سؤال: ما هي حدود الطموحات الإسرائيلية ذاتها؟ بكلمات أخرى: ما الذي تريده إسرائيل من ذاتها؟ وقد وضحنا هذه الفكرة في مشروع وثائق مؤتمرنا السادس توضيحاً كافياً، وقلنا إن مشكلة إسرائيل مع نفسها ربما أكبر من مشكلتها مع العرب.

بعد ذلك، ولو سلمنا جدلاً بحدوث الفرضية، هناك ألف مشكلة ومشكلة ستبرز لتعيد كل من يبتعد عن أسس الصراع إلى جادة الصواب؛ الصراع بشأن المياه، والدور الاقتصادي، والتناقض مع كل محاولة نهوض عربي.

هذه الحقائق والصيرورات تعيد تغذية الصراع وشحنه بقوة مضاعفة. وهكذا ستتصاعد الممانعة الاجتماعية، وستقوم قوى كثيرة، وستظهر ألف «حماس» جديدة وغيرها. وفي أي حال، يجب أن نحرص على عنصرين في نضالنا تتأثر بهما إسرائيل كثيراً: الخسائر البشرية، والاقتصاد. المهم أن تبقى النظرة متركزة على أن

هناك غزوة صهيونية علينا مواجهتها، وأن صراعنا مع إسرائيل والصهيونية صراع حياة أو موت.

بعد ذلك، مسموح لنا بأن نفكر في أي سيناريو مرحلي يخدم التوجه العام لمعركتنا. إنني أفهم أن لديك مشاعر إنسانية عميقة، ومن الضروري أن تتمتع الثورة الفلسطينية والعربية بهذه المشاعر، ولهذا فإن لنا رؤيتنا لحل مشكلة اليهود على أسس الديمقراطية والعدالة، لكن في فلسطين الحرة المستقلة. ودعني أطمئنك إلى أن الإسلام، الذي يصفونه اليوم بالإرهاب، كبير بعدله وتسامحه.

والعرب لم يمارسوا، طوال تاريخهم، الاضطهاد ضد اليهود. فاليهود كانوا دائماً يعيشون بيننا، مثلنا مثلهم، على عكس دول أوروبا الرأسمالية التي اضطهدتهم، ثم يتهموننا باللاسامية، ألسنا نحن الساميين؟ إن قلب الحقائق في عصر انحطاط القيم، عصر القوة والهيمنة الأميركية، يثير الدهشة.

■ **هل هذا توجه جديد، أم أنه توجه أصيل في الجبهة؟**

□ إنه بالتأكيد توجه أصيل للجبهة الشعبية.

■ **البارحة كنت أستمع إليك ـ حكيم ـ وأنت تتحدث عن عالم الأطفال، عالم الأحفاد. كنت تقول لي: الأحفاد تجربة رائعة. ويخطر لي الآن أن أسألك: في فترة خطف الطائرات لو كان الأحفاد موجودين، هل كنت اتخذت القرارات نفسها؟**

□ هذه فرضيات. ثم ماذا كان موقف الأمين العام لـ «حزب الله» عند استشهاد ابنه المجاهد، أليس هذا نموذجاً؟

إننا أمام غزوة تقوم على النفي الكامل؛ فعن أي طفولة تتحدث؟ هل تركوا مجالاً للطفولة؟ هل تركوا مجالاً لنعيش حياة طبيعية؟ الصراع لا يترك لك الفرصة لتقرر بأعصاب باردة، فالمواجهة يومية دامية وتاريخية.

وهي، بهذا المعنى، تقف موضوعياً ضد/وتحول دون التطور الطبيعي للشعب الفلسطيني وللعائلة الفلسطينية، وللمدرسة والجامعة والمصنع والحقل. إن الاحتلال يحول دون أي شكل من أشكال الحياة الطبيعية، ومتابعة أي مستوى من مستويات الحياة. في الوطن المحتل، أو في المخيم الفلسطيني في الشتات، تبيَّن عمق الكارثة وهولها. وضمن هذا السياق أسأل: هل ترك الإسرائيليون لأطفال قانا وسواهم حرية التطور الطبيعي؟

آسف يا محمود، لو كنتَ مررت بتجربة اللد.. من يعيش الاحتلال وإذلاله وويلاته سيدرك هذه الحقائق. إنها غزوة تستهدفنا جميعاً، أنا وأبنائي وأحفادي. وبالتالي عليّ أن أدافع عنهم. إننا في موقف دفاع عن النفس باستمرار.

■ **هل تعتقد، حكيم، أن معركة بيروت سنة ١٩٨٢ أثّرت في مجرى الأحداث اللاحقة؟ هل كان لها دور في توليد الانتفاضة؟ هل أثّرت في الفكر العسكري الإسرائيلي؟**

□ فيما يتعلق بالشق الأخير من السؤال، أنا طبعاً لست اختصاصياً عسكرياً، لكني ألمّ بالخطوط الكبرى الأساسية. إن الحرب الخاطفة انتهت. ظن الإسرائيليون أنهم سيصلون إلى بيروت خلال

ثلاثة أيام. لكن بيروت صمدت ٩٠ يوماً تقريباً؛ وهذا إنجاز كبير.
أمّا على الصعيد العربي، فقد كانت معركة بيروت درساً للأنظمة التي تضع ميزانيات ضخمة لبناء الجيوش؛ والدرس هو: إدعموا المقاومة.

هذا ما أراد الناس أيضاً أن يقولوه لحكامهم. على الصعيد الفلسطيني، قلنا إنه لا يجوز أن تنتهي ظاهرة الكفاح المسلح من الخارج، وعملنا على أساس إقامة تحالف بيننا وبين الحزب الشيوعي. فقد كان لهذا الحزب تجربة في هذا المجال، وسقط له شهداء. لكن القيادة الرسمية الفلسطينية كانت تذهب في منحى آخر على أساس استثمار تضحيات مرحلة طويلة من النضال في أية تسوية ممكنة.

في الأيام الأخيرة من حرب لبنان، جاءني أبو عمار، إلى مكتب الجبهة في مجلة «الهدف»، وطلب التحدث إليّ على انفراد. قال لي: ما رأيك في أن نغادر معاً؟ قلت له: إلى أين؟ قال: إلى تونس أو قبرص. أدركت حقيقة تفكيره، فقلت له: إذا كنت تعتقد أن الثورة انتهت، فأنا لا أشاركك هذا الاعتقاد؛ فالثورة يجب أن تستمر ولو واجهتنا أوضاع صعبة جداً. يجب أن نبقى، وأن نحافظ على الوحدة الوطنية وعلى القوة التي يمكن أن تسندنا الآن، وهي سورية. وبالتالي ذهب، ولم أغادر معه.

كان الطريق الذي يريد أن يسلكه واضحاً. وهذا أيضاً كان لنتائج الحرب في لبنان دور فيه. لكن الشيء الأساسي هو أن

الجماهير الفلسطينية شعرت بأن أفق الثورة من الخارج بات مسدوداً، فجاءت الانتفاضة.

يبدو لي أن ثمة عقلاً جَمْعياً له منطقه، وإلاّ كيف تفسر الانتفاضة؟ عندما كان هناك كفاح مسلح من الخارج، كانت الجماهير في الداخل مطمئنة إلى أن الثورة مستمرة. لكن عندما سد الأفق الخارجي بدأت الانتفاضة. لا أستطيع عزل الانتفاضة عن حرب لبنان. فقد برز، فلسطينياً وعربياً، اتجاهان: اتجاه يريد الاستمرار، واتجاه اعتبر الموضوع انتهى وأراد أن يحصل على مكاسب من نضال ٢٠ عاماً، على أساس خيارات سياسية. لكنه لم يتمكن من استثمار ما تراكم من خبرة ومكاسب. بل إن هذا الخيار اتُّخذ على قاعدة القطع مع تلك التجربة، والانتقال السريع المأساوي إلى الرهان على ما يقدمه لنا العدو.

مرحلة مدريد/أوسلو:
التسوية وآفاقها

■ **ننتقل الآن إلى مرحلة التسوية، مدريد ـ أوسلو. ما هي، في رأيك، الأوضاع التي أنتجت اتفاق أوسلو؟**

□ مأساة أوسلو لا تعود إلى حدث بعينه؛ إنها، في الواقع، حصيلة تاريخية لما سبقها من مراحل. بل يمكن القول إنها حصيلة الهزائم المتراكمة عربياً وفلسطينياً. ولا أقصد بالهزائم فقط الانهزام العسكري أمام إسرائيل، بل أيضاً ـ وهذا هو الأهم ـ عناصرها الذاتية، أي الداخلية؛ بمعنى عجزنا عن تركيم وتأمين مقدمات الانتصار السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية، وعجزنا عن إطلاق فاعلية المجتمع العربي في كل الدول، وإبقاؤه تحت رحمة الاستلاب والخضوع وقمع الأنظمة البوليسية.

فكيف يمكن تصور أن ينجح شعب في الانتصار على عدو متقدم يملك أسباب القوة كالعدو الصهيوني، ما دام ذلك الشعب لا يعرف معنى حريته الداخلية، وتسود فيه الغيبية والجهل والانغلاق على الذات.

هنا تكمن مرجعية هزيمة أوسلو وغيرها من الهزائم العربية ـ الفلسطينية.

بعد ذلك، هناك أسباب يمكن وصفها بالأحداث المباشرة

التي سرّعت الانهيار، وكشفت أعماق الأزمة، وهي:

على الصعيد الدولي: انهيار الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية، وانفراد أميركا بالسيطرة على العالم. على الصعيد العربي الرسمي: انهيار الحد الأدنى من التضامن العربي، بسبب حرب الخليج الثانية. كنت أسأل نفسي أحياناً: لو يا حكيم كنتَ أبو عمار وكان هذا هو حال الوضع الدولي، والوضع العربي الرسمي، وحركة التحرر الوطني العربية، هل هناك أي خيار آخر؟

وكنتُ أجيب بصدق: نعم، هناك خيار: التمسك بالشرعية الدولية ـ كما فعلت سورية ـ ثم التركيز على الوحدة الوطنية الفلسطينية، ثم الالتفات إلى الداخل الفلسطيني ودعم الانتفاضة، ثم التحالف مع سورية والإمساك بحلقة التضامن العربي. وفي تقديري، لو تم الأخذ بهذا الخيار لما وصل الحال إلى ما وصل إليه من التردي. في أية حال، كل الأوضاع والأسباب التي ذكرتها قد تفسر ما حدث، لكنها لا تبرره.

■ **هل تعتبر أن قيام دولة فلسطينية في معظم الضفة وغزة، وعاصمتها القدس الشرقية، حلاً مرضياً؟**

□ لا أعتقد أننا قريبون من مثل هذا الحل. حتى لو عاد حزب العمل إلى الحكم فهناك عقبات كثيرة: القدس؛ الاستيطان؛ حق العودة؛ الحدود؛ المياه. مع ذلك، إذا كان هناك حل مرحلي مقبول، فعلينا أن نقول لجماهيرنا: هذا حل مرحلي، لا ينهي القضية بصورة كاملة.

■ هل تعتقد أن وضع القضية الفلسطينية من دون أوسلو كان أفضل مما هو الآن؟

□ هذا يحتاج إلى تحديد المعيار الذي نحاكم على أساسه أي خيار. والمعيار، في تقديري، يتجلى في الحقوق والمصالح الوطنية والقومية الفلسطينية.

بناء على ذلك، ما الذي كسبه كل طرف؟ ماذا ربحت إسرائيل، وماذا خسرت؟ ماذا ربحنا، وماذا خسرنا؟

إن قراءة سريعة للأحداث وللنتائج المتحققة تبيِّن أن خسائرنا أكثر كثيراً من إنجازاتنا. وخسائرنا طبعاً هي أرباح صافية لإسرائيل. في المقابل فإن أرباح إسرائيل أكثر كثيراً من خسائرها. وهذا يعني خسارة صافية لنا، الأمر الذي يوضح المأزق الذي وصل إليه أوسلو، والوضع الصعب الذي يعيشه الشعب الفلسطيني في الوطن المحتل وفي الشتات.

كان علينا التمسك بالشرعية الدولية، والتمسك بالتنسيق العربي، ورفض الحلول المنفردة، والتحالف مع سورية، وترتيب البيت الفلسطيني، ومتابعة المقاومة بكل الأشكال المتاحة، وعلى جميع المستويات، وفي كل الميادين.

■ من الممكن أن تتحالف مع سورية، وأن ترتب البيت الفلسطيني، وأن تمارس مختلف أشكال النضال الآن. ألا تعتبر إيجابياً دخول الآلاف من رجال الشرطة الذين كانوا مقاومين سابقاً، وإدخال كميات كبيرة من السلاح؟ إنني أتحدث عن الجنود لا عن

القادة، عن العناصر الذين سينضمون إلى شعبهم في أية معركة مع إسرائيل (معركة المسجد/النفق).

□ يجب أن تأخذ الصورة بكاملها، لا جزءاً منها، وبناء تحليل كامل وشامل والوصول إلى تعميمات نهائية.

إذ لا بد من أن نقف أمام الوظائف والأدوار التي وُجدت من أجلها تلك الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة. وإسرائيل تدرك ذلك جيداً، وتدرك الإمكان الذي ذهب إليه السؤال، ولهذا يجب رؤية الدينامية التي يدفع بها الاحتلال، والتي لا تتيح المجال لتخطي سقف أوسلو كمرجعية. ولنا في التجربة المعاشة الراهنة أكثر من دليل: قمع المواطنين، وملاحقة قوى المعارضة، والقبول بدور الدفاع عن الأمن الإسرائيلي.

طبعاً، لا تخلو اللوحة العامة من بعض التكسرات، لكنها تبقى ضمن النسق العام. والأمور في النهاية بنتائجها، فإلى أين تتجه الوقائع في الوطن المحتل؟ إنها تتجه نحو المزيد من الغطرسة وإحكام القبضة الإسرائيلية، وفرض شروط الاحتلال؛ هذا هو المقياس.

إذاً، المراهنة على أميركا وحدها لا تشكل خياراً صائباً. يجب أن تكون لنا تحالفات دولية: أوروبا، والصين، وروسيا. عربياً، يجب إقامة علاقات طيبة مع سورية وغيرها، ويجب أن نعيد ترتيب البيت الفلسطيني. هذه هي الصورة التي تضع قبالتها صورة أوسلو.

■ قلت أنك ستتحالف مع سورية. وسورية تراهن على الولايات المتحدة وعلى إمكان حدوث ثغرة بين الموقفين الإسرائيلي والأميركي.

□ صحيح أننا نختلف مع سورية بشأن الموقف من مدريد. لكن الأداء السوري، منذ ذلك الوقت، يدل على صلابة وإدارة جيدة لم تقع في المستنقع كما وقع غيرها. وبهذا المعنى أفهم الموقف السوري الذي يقول: تريدون السلام؟ حسناً، لكن لهذا شروطاً وركائز، ومن دونها لن يكون هناك سلام.

إننا إلى جانب سورية في صراعها وتمسكها بحقوقها. وعليه، ليس بالضرورة أن نكون متطابقين في المواقف والتكتيكات مئة في المئة؛ وهذه معادلة سليمة وطبيعية، فلا أحد يلغي الآخر. والخلافات دائماً تقوم على أساس محاولة الوصول إلى أفضل طريق لانتزاع حقوقنا.

بعد ذلك، يجب التفريق بين حوار تقوم به قيادة ثورة، وجودها ووجود شعبها وحقوقه وقضيته كلها مهدَّدة، وبين دولة لها سيادتها وشرعيتها وتستطيع بالتالي مواصلة التفاوض عشرين عاماً من دون التنازل عن حقوقها، وفي الوقت نفسه تستمر في بناء ذاتها وتطورها. بينما في الحالة الأولى أي خطأ يُدفع ثمنه مباشرة. نحن في حالة ثورة، وبالتالي من الخطأ الفادح وضع مصير شعبنا تحت رحمة أميركا وإسرائيل.

■ هل توافق على الحوار مع قوى داخل المجتمع الإسرائيلي

تعترف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني؟ هل ترى إمكان الضغط على الحكومة الإسرائيلية من خلال العمل مع هذه القوى في إسرائيل؟

□ لقد كانت لنا اتصالاتنا بالحزب الشيوعي الإسرائيلي، فيما لو سلّمنا بأنه حزب إسرائيلي، والتقيت أمينه العام. لكن للجبهة، في الأساس، نظرة معينة بالنسبة إلى الاستيطان والمشروع الصهيوني والكفاح والاشتباك التاريخي.. إلخ. بالمعنى الاستراتيجي، أنا مع استرداد آخر حبة من تراب فلسطين. أمّا بالمعنى التكتي، فمن الطبيعي استثمار أية تعارضات داخل إسرائيل. لكن يجب الانتباه هنا إلى أن القوى التي تنادي بالحقوق الفلسطينية هامشية جداً، وليس لها دور مؤثر حتى الآن. بل إنها، في أحيان كثيرة، تشكل جسراً لتطويع العقل الفلسطيني؛ إنها تعطي مواقف إعلامية مجردة وتحصل على تنازلات لتقدمها للشارع الإسرائيلي؛ إنها تطالب دائماً بأن يقدم الفلسطينيون أوراق حسن نية.

إننا مقتنعون بأن التعارضات في إسرائيل لن تأخذ طابعاً جدياً إلاّ إذا جوبهت بجبهة فلسطينية عربية صلبة تضع إسرائيل أمام الأسئلة الجدية التي تتهرب منها.

في أية حال، ليس لنا أي اتصالات سياسية بقوى إسرائيلية، وإن كان الأمر لا يخلو من بعض التنسيق الميداني في مواجهة الإرهاب الإسرائيلي. وفي حال وُجدت قوى إسرائيلية تقر بحقوقنا وتقوم قوى فلسطينية أُخرى بالاتصال بها، فنحن عادة نتفهّم ذلك.

■ **الشعب الفلسطيني في الداخل مضطر إلى التعامل مع إسرائيل في مجالات عدة. هذا يعني أن الاشتباك هنا اشتباك ذو أوجه كثيرة. ولا أظن أن في إمكانه أن يفعل غير ذلك. كيف يمكن الاستفادة من هذا الوضع؟ وهل يُسمح في الداخل للجبهة بالاتصال بقوى متعاطفة؟**

□ بالتأكيد يجب الاستفادة من هذا الواقع، والتعامل معه كمعطى قائم. وبهذا المعنى نحن نتفهم تماماً الدور الذي تقوم به القوى الديمقراطية والتقدمية في فلسطين المحتلة منذ سنة ١٩٤٨.

أيضاً نحن مع الاستفادة من حال التنوع السياسي والثقافي والاجتماعي في الضفة والقطاع، إذ نعي أيضاً هنا حال الاشتباك الناجمة عن الاحتلال. وبالتالي نحن مع أي نشاط، أو أية ممارسة اجتماعية تهدف إلى التصدي للاحتلال. ولهذا نحن مع الأنشطة التي ينظمها بعض المؤسسات الاجتماعية مع قوى إسرائيلية في مواجهة الاستيطان والقمع، أو للمطالبة بإطلاق الأسرى.

إن أعضاء الجبهة وأنصارها يساهمون في هذه الأنشطة. لكننا الآن لسنا مع أن تقوم الجبهة، بالمعنى الرسمي، بالحوار السياسي مع هذه القوى. لم تصل الأمور بعد إلى هذا المستوى. لكن بالمعنى النظري والمبدئي ليس من الخطأ التفكير في اللقاء والتحالف مع بعض القوى التي تقر بحقوقنا وتقف إلى جانبنا في مواجهة الاحتلال وممارساته، شرط أن يتم ذلك بوضوح وعلى أسس سياسية محددة. وهذا مرهون بتطور الواقع والأحداث.

■ **كيف تنظر إلى التجربة التي تتكون في فلسطين في منطقة الإدارة**

الذاتية: على صعيد الحكم، السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية؛ على صعيد مؤسسات المجتمع المدني، حقوق الإنسان، والممارسات الديمقراطية، والتعليم والثقافة، والعلاقة بين المتدينين والعلمانيين. كيف تنظر إلى هذه التجربة ومسارها؟

□ كنت أتمنى أن يكون الشيء الذي يحدث في الداخل نموذجاً، وأن يكون في إمكاننا القول للدول العربية وغيرها: هذا هو النموذج. ما يجري الآن عكس ذلك. مع الأسف هناك ١٢ شخصاً قتلوا تحت التعذيب؛ تعذيب المساجين، الفساد. حتى الآن لا يوجد نموذج مقبول. ولننظر إلى تجربة شخصية فلسطينية محترمة جداً، الدكتور حيدر عبد الشافي؛ وإلى ما يقوله رئيس جمعية حقوق الإنسان في فلسطين، الدكتور إياد السراج؛ وإلى منع كتب إدوارد سعيد من التداول في فلسطين. ما معنى هذا كله؟

أنت تعرف أن مأساة الفلسطيني، وما تعرض له من قهر واضطهاد وتغريب وتشريد واستلاب، يعبّران عن أعمق المآسي في التاريخ المعاصر. وفي ظل هذا الواقع الذي ينظر فيه العالم دائماً إلى الفلسطيني كمطارد، كمطلوب، فقد تبلورت لديه حساسية عالية تجاه حقوقه وأهدافه، كما تبلورت لديه حساسية نفسية كثيفة تجاه نموذج الدولة والسلطة اللتين يحلم بهما.

إنه يريدهما سلطة ودولة تعوضانه من كل ما لحق به من إهانة وإذلال وقهر، وتؤمنان له الحرية بكل تجلياتها وتعبيراتها، وتؤمنان له العمل والطمأنينة؛ يريد سلطة ودولة ونظام حكم لا يذكّره

بالأنظمة التي لاحقته واعتقلته وطاردته في لقمة عيشه وجواز سفره وتعليم أطفاله؛ يريد دولة تؤمن له الدواء؛ يريد أن ينسى الوقوف كلاجىء؛ إنه يحلم بأن يتخلص من نفسية الإنسان المقهور، الإنسان المحتل، الإنسان المنفي.

يبيّن هذا كله وسواه التناقض الذي يعيشه الفلسطيني بين حلمه وأمله الطبيعي تجاه أوضاع غير طبيعية وبين الواقع الذي وجد نفسه فيه في ظل سلطة أوسلو. لقد أصيب بصدمة، لا سياسية فقط بل أيضاً نفسية ومعنوية؛ وهذا من أخطر المسائل. من هنا تبرز حالات الإحباط واليأس التي تنفجر على شكل مواجهات دامية مع الاحتلال، وتمرد عنيف، وحالة احتقان تنذر بالانفجار.

وأخطر ما في المسألة أنه في الوقت الذي كان الفلسطيني يجد فهماً للمعادلة التي تحكم الإنسان المحتل بقوة الاحتلال، فإنه غير مصدِّق أن تتحول سلطته ـ إن جاز التعبير ـ وقياداته التاريخية والرموز التي كان يعتز ويفخر بها (الفدائي ـ البندقية) إلى أدوات تحطيم لحلمه وأهدافه. هنا يكمن عمق المأساة الآن في الضفة والقطاع المحتلين.

أي دور لفلسطينيي الشتات؟

■ **كيف ترى صورة العلاقة بين فلسطينيي الداخل وفلسطينيي الشتات، وأي دور لكل منهما، وكيف يتحدد هذا الدور؟**

□ أولاً، لا بد من الإشارة إلى المخطط المعادي الذي يهدف إلى

تفتيت الشعب الفلسطيني. خذ مثلاً موضوع الدروز سنة ١٩٤٨، وموضوع المسيحيين اليوم. إسرائيل تسعى لتفتيت الشعب الفلسطيني جغرافياً وسياسياً واجتماعياً. هنا يأتي دور منظمة التحرير وأهميتها كمرجعية وطنية عامة، وكمعبّر عن وحدة الشعب الفلسطيني، وأهمية ميثاقها وبرنامجها. إن أول بند في برنامجنا الفلسطيني العام هو الحفاظ على م.ت.ف. وميثاقها. والعناوين الكبرى لهذا البرنامج هي: حق العودة؛ تقرير المصير؛ الدولة وعاصمتها القدس.

بعد ذلك تأتي البرامج التي تعالج أوضاع كل تجمع فلسطيني على حدة. وهذه البرامج الخاصة يجب أن تكون مرتبطة بالبرنامج العام. الشعب الفلسطيني موزع اليوم على ٧ تجمعات أساسية: الضفة والقدس وغزة و١٩٤٨ وسورية ولبنان والأردن، وهذا عدا الفلسطينيين في بلاد عربية أُخرى، وعدا الفلسطينيين المنتشرين في مختلف دول العالم. البرامج الخاصة يجب أن تعنى بالمشكلات التي تهم كل جماعة على حدة، وعلى رأسها المشكلات الحياتية للفلسطينيين.

إن إشكال العام والخاص في تجربة الثورة الفلسطينية المعاصرة من أهم الإشكالات، وأي خلل في التعامل معه سيدفع الجميع ثمنه. وتقوم رؤيتنا الآن على أساس الحفاظ على وحدة الشعب الفلسطيني وتدعيمها. لكن، في الوقت نفسه، يجب رؤية الواقع الذي تشكل بالمعنى التاريخي الاجتماعي ـ الاقتصادي، إذ

نجد تجمعات فلسطينية تختلف في مستويات تطورها؛ الأمر الذي يعني أنه إلى جانب الهمّ العام، والمصالح العامة، والأهداف العامة، هناك هموم ومصالح وأهداف وحقوق وأولويات خاصة بكل تجمع، لا يمكن، ولا يجوز إغفالها أو التعامل معها كأنها غير موجودة. إن حالة التنوع والتفاوت التي باتت تعكسها الخصوصيات المتعددة يجب أن تكون حقلاً للإبداع ولإثراء تجربة الشعب الفلسطيني. لكن هذا مرهون، أو مشروط، بالقدرة على إدراك واقع تلك الخصوصيات كما هي في الواقع، لا من خلال العقلية البيروقراطية الأوامرية.

هذا يعني أن على فصائل العمل الوطني الفلسطيني العمل كقوة أصيلة في تلك التجمعات، لا كقوى مفروضة. كما أن عليها، في الممارسة، الانتباه الشديد للمبدأ الذي يجب أن يضبط علاقة العام بالخاص. ففي الواقع، لا يوجد عام من دون الخصوصيات، وفي المقابل ستتفتت الخصوصيات إذا لم تحافظ على حضور العام في ثقافتها وبُناها السياسية وبرامجها.

إذاً نحن أمام علاقة جدلية مركبة. وبالتالي من الخطأ الجسيم وضع أولويات التجمعات الفلسطينية المتنوعة في حالة تصادم بعضها مع بعض، أو بينها وبين العام الفلسطيني. إن حل هذا الإشكال يفرض بالضرورة سيادة العلاقة الديمقراطية - بكل تجلياتها - بهذه التجمعات، والإقرار باستقلاليتها فيما يتعلق بخصوصياتها وأولوياتها. ضمن هذه الرؤية الكثيفة نستطيع أن نوحّد شعبنا، وفي

الوقت نفسه لا نلغي خصوصياته وفرادة تجمعاته التي نشأت خلال نصف قرن من التشتت. وهذا ما يعيد الحيوية إلى فعل تلك التجمعات وإلى حضورها، ويحولها إلى قوة مؤثرة في قلب العملية الصراعية، ويحميها من التهميش أو التوطين أو التذويب.

■ **لماذا لم تنجح منذ أوسلو كل المحاولات لإعادة توحيد الشتات الفلسطيني ضمن برنامج يعيد الحيوية والفعالية إلى هذه الطاقات الفلسطينية الضخمة في شتى الميادين؟**

□ لقد أوضحتُ، بصورة عامة، ركائز رؤيتنا في السؤال السابق. وما دامت قوى المعارضة غير قادرة على إعادة قراءة التجربة السابقة بصورة نقدية عميقة، وتكتفي بالخطاب السياسي العام من دون الذهاب بالمسائل حتى نهاياتها، فإنها ستبقى تدور في دوائر الأزمة والتراجع.

فالمسألة لا تقف حدودها عند المستوى السياسي، وإنما تدفعنا إلى إعادة النظر في إدارة الصراع وتفعيل الطاقات الفلسطينية كمجاميع وأفراد، وفيما إذا كان البعد الديمقراطي يحتل مكانته الملائمة في بنية وممارسة قوى المعارضة الفكرية والسياسية والعملية، وأيضاً رؤيتها الاجتماعية، إضافة إلى مستوى شمولية رؤيتها وجدليتها وقدرتها على الابتكار والتعامل مع حركة الواقع وتغذية عقلها القيادي بالمعرفة والمعلومة لتأتي قراراتها وممارساتها أقرب ما تكون إلى الصواب. وعدا ذلك، تستمر آليات التبديد والتنابذ والهروب من استحقاقات الواقع الهائلة.

في أية حال، لقد جرت محاولات كثيرة لتوحيد الفلسطينيين وقواهم الوطنية في الخارج. مثلاً: تجربة «الفصائل العشرة»، ثم المحاولة التي بادر إليها عدد من المثقفين: «لجان العودة».

غير أن هذه المحاولات لم ترتق إلى استحقاقات المرحلة وأسئلتها. لقد تحركت المبادرات إجمالاً كردة فعل، والشيء المشترك بينها هو العنوان السياسي العام.

وعلى الرغم من إخفاق هذه التجارب أو مراوحتها، فإنه يجب الوقوف أمامها ودراستها بعمق، واستخلاص دروسها.

أعتقد أن الدرس الأول يتمثل في ضرورة حماية أي خطوة توحيدية من الوقوع في دوائر الانفعال وردة الفعل، والتعامل معها كخط استراتيجي، وعلى أساس الارتباط بمتطلبات الصراع لا لمجابهة موقف سياسي ما، على أهمية ذلك. وهذا يعني الانطلاق من القواسم المشتركة، وعدم إغراق العملية في الخلافات الثانوية.

الدرس الثاني هو أن تنطلق العملية وتتواصل ضمن نواظم الديمقراطية، والإقرار بالاختلاف والاجتهاد. وهذا يفرض موقفاً حازماً من عقلية الهيمنة والفئوية، واعتماد الحوار والانفتاح والثقة.

إلى جانب هذا، يجب أن تصاغ الرؤية على أساس التوازن بين السياسي والاجتماعي. فعلى الرغم من أن البعد السياسي يحظى بمكانة أساسية فإنه ليس الوحيد؛ إذ هناك المسائل الاجتماعية، على قاعدة الترابط والتفاعل بين السياسي والاجتماعي.

ثم تأتي العلاقة بين العام والخاص وعدم وضعهما في حالة

تضاد، وهذا يفرض المرونة وعدم مصادرة حق أي تجمع من تجمعات الشعب الفلسطيني في التعبير عن خصوصيته. وفي الوقت نفسه أن يضع كل تجمع في صلب رؤيته وممارسته الهمّ العام: حق العودة، وتقرير المصير، والدولة المستقلة وعاصمتها القدس.

يضاف إلى هذا ضرورة عدم عزل نضالات الشعب الفلسطيني في الخارج عن نضالات الشعب الفلسطيني في الداخل، وتعزيز كل ما من شأنه تمتين وحدة شعبنا المهددة باستمرار. فقوة شعبنا في وحدته لا في تمزيقه.

هنا، إسمح لي بأن أشير، ونحن نتحدث عن مشكلات قوى المعارضة وأزمتها ومسؤوليتها، إلى أنه لا يجوز وضعها في حالة مساواة مع أزمة فريق أوسلو ومسؤوليته. فالأولى تقوم على أساس البحث عن أسس وشروط الحفاظ على حقوق الشعب الفلسطيني ومصالحه ومقومات نهوضه، بينما أزمة الفريق الثاني تقوم نتيجة سياسة التفريط والتخلي عن حقوق الشعب ومصالحه.

في النهاية، أود أن أشير إلى المسؤولية الكبرى التي تتحملها القوى الديمقراطية، وفي مقدمها الجبهة الشعبية، لمواصلة السير في طريق الوحدة على أسس واضحة، بعيداً عن النهج الاستخدامي الضيق، وللارتقاء بها إلى مستوى الضرورة الوطنية الاستراتيجية.

القضية الفلسطينية والعرب

■ كيف تقوّمون العلاقات الفلسطينية ـ العربية في المراحل التي مرت بها: من طغيان النفوذ العربي على القضية إلى الانكفاء الإقليمي الفلسطيني؟ أين الصواب في هذه المسيرة، وأين الخطأ؟

□ قضية فلسطين هي، أولاً وقبل أي شيء، قضية العرب. فعلى الرغم من تعرض أكثر من جزء في الوطن العربي للاحتلال وبعضها لا يزال، فإنه لم يحدث أن احتل أي منها تلك المكانة التي احتلتها فلسطين في الوجدان والذاكرة والواقع العربي؛ لا لأن فلسطين أغلى من أي جزء آخر في الوطن العربي، وإنما لأن المشروع الصهيوني ـ الإمبريالي، الذي استوطن فلسطين، تخطى بأهدافه المباشرة والبعيدة أي احتلال آخر لأي جزء من الوطن العربي.

لقد مثل احتلال فلسطين التحدي الأكثر تاريخية وشمولاً. وبكلمات أُخرى: إنه التحدي الكامل لكرامة العرب وتاريخهم وحضارتهم. يضاف إلى هذا أن المواطن العربي تلمّس وأحس، بعقله وقلبه، أن فلسطين لم تكن سوى رأس الجسر الذي سينتشر منه السرطان الصهيوني إلى سائر جسد الأمة العربية. ذلك بأن المشروع الصهيوني والقوى الداعمة له يمثلان، منذ قيام إسرائيل، القوة الأولى المانعة لتقدم الأمة ووحدتها ونهوضها. وهذا ما يفسر

لنا الإجماع العربي الشعبي على فلسطين.

لقد تحولت فلسطين إلى ما يشبه التعويذة التي يتوسلها كل نظام وكل زعيم لتدعيم شرعيته. وبمعزل عما ارتُكب باسم فلسطين من خطايا، فإن ذلك يدل على مكانتها وقدسيتها في الوجدان العربي.

أردتُ بهذه الكلمات أن أوضح حقيقة قد تكون غائبة عن بال الكثيرين في غمرة الأحداث، ومع ذلك فإن المسألة الفلسطينية تعرضت لانحرافين أساسيين:

الأول تمثل في طغيان العام العربي على الخاص الفلسطيني، الأمر الذي يساهم في تغييب الهوية الفلسطينية التي كان يجب إبرازها في مواجهة محاولات الطمس التي كانت تقوم بها إسرائيل والحركة الصهيونية لنفي وجود الشعب الفلسطيني.

الثاني، والذي جاء ردة فعل معاكسة للأول، لكن خطره لا يقل أهمية، تجلى في سيادة روح القطرية الفلسطينية كما عبّرت عنها القيادة الفلسطينية المتنفذة بزعامة عرفات، والتي رفعت شعار «يا وحدنا»، الأمر الذي قاد في النهاية إلى تحرير العرب من فلسطين، وصولاً إلى كارثة أوسلو.

أمام هذا الواقع وهذه الدروس يصبح من السهل الوصول إلى الرأي السليم، وهو أن فلسطين هي قضية العرب، والحفاظ على خصوصيتها يأتي في إطار مكانها الأصيل كجزء من الأمة العربية، وخصوصية الشعب الفلسطيني لا تعني فصله عن صدر أمه، وإنما

هي تأكيد لهويته العربية في مواجهة نقيضه الصهيوني الذي هو نقيض الأمة؛ أمّا دفع خصوصية الشعب الفلسطيني في اتجاه وضعها في حالة تضاد مع الأمة العربية، والإقرار بالشعار الهزيل «يا وحدنا»، فهذه قمة المأساة.

■ **هل تعتقد أن حرب ١٩٧٣ كانت آخر الحروب النظامية العربية ـ الإسرائيلية؟**

□ لا أستطيع، في الواقع، قول هذا لأن عملية الاشتباك مستمرة. وما دام الاشتباك مستمراً فإنه قد يتخذ كل الأشكال الممكنة. الآن يصعب أن تنشب حرب إلاّ إذا أرادها نتنياهو. ولا أتصور أن هناك قائداً أو رئيساً عربياً على استعداد الآن لدفع الأمور نحو خيار الحرب. وفي أي حال، فإن إسرائيل كانت طوال تاريخ الصراع هي البادئة بالحروب، باستثناء حرب ١٩٧٣ التي كانت دفاعية؛ فالسادات هو الذي قال عن حرب ١٩٧٣ إنها آخر الحروب. الأوضاع الآن غير ملائمة، لكنني لا أستطيع الجزم أن هذا الخيار انتهى.

■ **لكننا نقترب من حالة توازن الرعب النووي ـ الكيماوي، وربما بعد فترة النووي ـ النووي. مَنْ يستفيد أكثر من هذا الوضع؟**

□ هذا مرتبط بالحروب الرسمية. لكن الصراع والاشتباك سيستمران. المهم في رأيي أن يعي الثلاثمئة مليون عربي أهداف المشروع الصهيوني ومخاطره، وتركيم شروط مواصلة الصراع المادية والسياسية والفكرية والمعنوية. وفي هذا السياق لا يجوز

التقليل من قيمة الجيوش النظامية وما تملكه من أسلحة، فهي بالتأكيد أحد مكونات القوة في الصراع.

■ **لكن الوضع العربي الآن أبعد ما يكون عن ذلك، وما ألاحظه هو أن الناس تتأثر بما يمس مصالحها المباشرة.**

□ هذا صحيح. لاحظ موقف مصر الجيد الآن، وكذلك موقف السعودية. لكن هناك، بصورة عامة، إلى جانب المصالح الكرامة. فالإنسان العربي يشعر اليوم بأنه مهان. وحتى لو أراد البعض أن يقفز عن الواقع فإن مشاريع الحلف المعادي ستعيد المسائل إلى نصابها. إضافة إلى ذلك، فإن تاريخ الصراع أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن مصالح الناس الحياتية واليومية لا يمكن أن تتحقق ما دام المشروع الصهيوني الإمبريالي يفرض هيمنته وسطوته على المنطقة وشعوبها.

آثار حرب الخليج الثانية

■ **كيف تنظرون إلى القضية العربية اليوم، وعلاقتها بالقضية الفلسطينية؟ كيف يمكن تجاوز ما أحدثته حرب الخليج الثانية، من تمزق في الجسم العربي، أو تأثير سلبي في القضية الفلسطينية؟**

□ تمر القضية الفلسطينية اليوم بأسوأ المراحل. عندما أستعرض بيني وبين نفسي مختلف المراحل ـ ١٩٣٦، ١٩٤٨، الخمسينات، الستينات، السبعينات.. إلخ ـ أجد أن هذه المرحلة هي الأسوأ. لماذا؟ لأن الأسوأ هو الاستسلام. ما دمتَ تقاتل دفاعاً عن كرامتك

المهانة وأرضك المحتلة، فهذا يعني أن الوضع جيد. أعتقد أن الأنظمة وبعض الأحزاب والقوى هي التي تستسلم، أمّا الشعوب العربية فيمكن أن تمر بمراحل كمون وتراجع، لكنها بالتأكيد لن تسلّم باحتلال أرضها وامتهان حقوقها إلى ما لانهاية. هناك في فلسطين، في مصر، في الأردن، في لبنان، وحتى في المغرب، تحولات إيجابية. عندما ألتقي الشباب العربي، من مختلف الأقطار، ألمس مدى التزامه القضية القومية.

بالنسبة إلى ما جرى في الخليج، فإننا بالتأكيد ضد أن يحتل بلد عربي بلداً عربياً آخر. وقد أعلنا ذلك في حينه بكل وضوح، لأننا على قناعة راسخة بأن طريق الوحدة، كهدف نبيل ودائم، هو الطريق الديمقراطي والاختيار الحر، وليس العنف. ذلك بأن تخطي ما نجم عن القطرية من ثقافة ووعي وحقائق اقتصادية وسياسية واجتماعية عبر مسار تاريخي، لا يمكن أن يتم بصورة اعتباطية أو قسرية، وإنما يحتاج إلى عمليات تاريخية متدرجة تؤسس وترسي مقدمات الوحدة القومية بصورة ثابتة وراسخة.

وسيكون مردود أية مغامرة أو خطأ أو تسرُّع عكسياً تماماً، ويمس جوهر فكرة الوحدة في العمق. وهنا تحضرني دروس الانفصال بين مصر وسورية، والتي تطرقت إليها في سؤال آخر، وأيضاً الأضرار التي لحقت بالقضية الفلسطينية عندما كان يتم تبرير قمع الحركة الشعبية والحريات باسم فلسطين، في الوقت الذي تشترط مواجهة العدو الصهيوني وتحرير فلسطين أعلى درجة من

الديمقراطية والحرية.

بعد هذا التوضيح المهم، أرى من واجبي أن أؤكد أن الموقف العربي الشعبي العام، الذي يعبّر باستمرار عن وقوفه إلى جانب العراق، لا يجوز أن يُفهم أنه موافقة على احتلال الكويت، وإنما هو تعبير عن حساسية صحية في مواجهة العدوان الأميركي الذي يدرك المواطن العربي جيداً أن أهدافه ليست، في أي حال من الأحوال، الحرص على الكويت، وإنما الدفاع عن مصالح أميركا وهيمنتها على المنطقة والنفط، وضرب أية محاولة نهوض عربية. وإلاّ بماذا نفسر انحياز أميركا العدواني السافر والمستمر إلى جانب إسرائيل التي تحتل فلسطين والجولان والجنوب اللبناني، وترفض تنفيذ أي قرار من قرارات الشرعية الدولية على هذا الصعيد.

■ قبل قليل قلت أنك لو كنت أبو عمار لكنت تُعنى بالتضامن العربي. ماذا تفعل بالنسبة إلى الوضع الناشىء بعد حرب الخليج الثانية؟

□ يجب أن أعترف بالحقيقة، وهي أن نتائج حرب الخليج صعبة. لكن، بعد ذلك، يجب أن نقف أمام ضرورة تصحيح هذا الوضع. هناك الآن ثلاث دول عربية تفرض عليها الولايات المتحدة الحصار: ليبيا والسودان والعراق. يجب أن ترفع الأمة العربية كلها شعار رفض الظلم، وتناضل فعلياً لإيقافه. إن إمعان الحلف المعادي في ممارسته العدوانية ضد الأمة العربية يتضاعف كلما

استفحلت حالة الضعف العربي وازدادت حالة التمزق. ولو اتفق العرب على حد معين من المواجهة، ولا أعني الحرب، وإنما استخدام المواجهة الاقتصادية والإعلامية على الأقل وبصورة جدية، لأمكنهم تحسين مواقعهم في مواجهة الخصم، ولفرضوا احترامهم بين الأمم.

إذاً يجب العمل على تحقيق أية خطوة، مهما تكن بسيطة، للارتقاء بالعمل العربي المشترك، سواء على مستوى العلاقات الثنائية، أو على مستوى جامعة الدول العربية، أو على مستوى مؤتمرات القمة.

■ **أوافقك على ضرورة رفض هذا الظلم، وفي الوقت نفسه أرى أن لا نجد أنفسنا ندعم أنظمة مستبدة وفاسدة؟**

□ فعلاً هناك مشكلة. لكن ثمن الظلم والعدوان الأميركيين تدفعه، في الأساس، الشعوب العربية لا الأنظمة. وعندما تحدث نهضة أو حالة عربية متقدمة، فلن تكون الأنظمة التي أشرت إليها متحكمة في الشعوب، وهذا مرتبط بقدرة القوى والأحزاب العربية على القيام بدورها في كل بلد عربي.

في أية حال، إن الخطر الداهم يتمثل الآن في الخطر الإمبريالي ـ الصهيوني. ولا يعني إدراك هذه الأولوية إغفال المكانة التي يحتلها الظلم الاجتماعي الداخلي.

■ **يبدو لي، حكيم، أحياناً أننا نتحدث عن شعوبنا كأنها شعوب بلغت مستوى من الرقي يمكنها من ممارسة الديمقراطية على الوجه**

الأكمل، وننسى أن شعوبنا متخلفة، وربما لو أتيح لها أن تنتخب بحرية لما جاءت بأفضل من هؤلاء الحكام.

□ ربما. لكن هل هناك خيار آخر غير الوقوف إلى جانب مصالح الجماهير؟ وهل هناك دور ووظيفة للقوى والأحزاب الوطنية والديمقراطية غير الفعل الكثيف في أوساط الشعب للارتقاء به والنضال معه لوعي حقوقه ومصالحه، ووعي الأخطار التي تهدد تلك الحقوق والمصالح من قبل القوى الإمبريالية، ومن قبل المشروع الصهيوني؟

لهذا، بالضبط، يجب أن تعي القوى الديمقراطية دورها كقوى إنهاض. فمن غير الممكن استثمار الطاقات الاجتماعية المتنوعة والهائلة لهذه الأمة إذا لم تصبح الديمقراطية والحرية الداخلية سائدتين في قيم الناس ووعيهم؛ إنهما الطريق إلى التطور والتنمية والحفاظ على الهوية والمصالح القومية؛ إنهما الطريق إلى الوحدة، لا العكس.

■ **يبدو الوضع العربي الراهن الغارق في التشرذم والتخلف أنه، وهو على أبواب القرن الحادي والعشرين، فقدَ فرصة التحرر من قيوده واللحاق بالعصر. ما هي، في رأيك، شروط هذا الانعتاق؟ وما هي جبهات الصراع المستقبلي: ثقافية؟ طبقية؟ تحرر المرأة؟ حل المشكلات المزمنة بين الأقليات والأكثرية في الوطن العربي ..إلخ؟**

□ أوافق على وصف الجوانب السلبية من واقعنا. لكن هناك واقع

التصدي للهيمنة الصهيونية المرتبطة بالإمبريالية، بما يمثله ذلك من خطر راهن وداهم. وعلى الرغم من كل السلبيات على هذا الصعيد فإن الاشتباك مستمر، مع ضرورة إدراك حقيقة علمية هي أن نجاحنا في مواجهة الخطر الصهيوني مرهون ومشروط بمدى تقدمنا على صعيد الصراع الاجتماعي الداخلي. فمن غير المعقول الانتصار على عدو يملك هذه القدرات العلمية والاقتصادية والاجتماعية، بواسطة مجتمع متخلف سياسياً واقتصادياً وعلمياً.

هنا ترتبط عملية التحرر القومي وعملية التحرر الاجتماعي إحداهما بالأُخرى؛ وهذا ينقلنا إلى الحديث عن جبهات المواجهة المستقبلية، وهي أولاً: الجبهة الثقافية التي يجب أن تتناول أسباب هذا الواقع وتحليله والتفكير في الحلول والبدائل؛ إنها الجبهة التي تؤمن الأساس الفكري المنهجي لوعي الماضي والحاضر والمستقبل، ومن دونها سيبقى التخلف والانفعال.

وهناك ثانياً الجبهة السياسية، إذ يجب أن تقوم أحزاب وجبهات مرتبطة حكماً بالجبهة الثقافية، وتشاركها في بلورة الرؤية والتحليل والعلاج، وتنقل الوعي إلى قوة فعل سياسي - اجتماعي منظم.

وهناك ثالثاً الجبهة الاجتماعية. فلا يجوز، مهما نركز على الهجمة الصهيونية، أن نهمل الموضوع الاجتماعي الذي يتصدى لمعالجة هموم الناس المعيشية. وفي هذا الإطار، أيضاً، تعالَج الشؤون المتعلقة بالمرأة. ومهما يكن الواقع مرّاً، وأنا أوافق على

تشخيص هذا الواقع، فإنني أتطلع إلى تحقيق نهضة عربية كبيرة تتلاءم مع حجم طاقات الأمة العربية وإمكاناتها وتراثها وحضارتها.

العلاقة بالقوى الإسلامية

■ **كيف ترى العلاقة بالقوى الإسلامية الناشطة حالياً في الكثير من الدول العربية؟ علاقة حوار، أم تحالف، أم صراع؟**

□ هذا العنوان من أبرز الإشكالات التي تواجه قوى حركة التحرر الوطني العربي، قومياً ووطنياً. إن التعامل مع قوى الإسلام السياسي لا يجوز أن يتم بصورة اعتباطية، وبالتالي وضع الجميع في سلة واحدة. هذه مسألة أولى. ثانياً، يجب التعامل مع هذه القوى باعتبارها قوى أصيلة في المجتمع، ما عدا الحركات أو المجموعات ذات الارتباطات المشبوهة.

هذا يعني أن علينا جميعاً، نحن وقوى الإسلام السياسي، فتح أبواب الحوار من أجل الوصول إلى قواسم مشتركة للعمل في الأوضاع الراهنة والمنظورة.

هنا، أيضاً، يجب التفريق بين قوى إسلامية مناضلة ومكافحة ولها رؤيتها الاجتماعية والعقائدية، كما هو قائم في لبنان («حزب الله») وفي فلسطين (حماس والجهاد) وفي الأردن (الجماعة الإسلامية)، وبين قوى أو مجموعات لم يعد ما تقوم به من أفعال مفهوماً أو مبرَّراً، لا إنسانياً ولا خلقياً ولا إسلامياً، كما يحدث الآن في الجزائر أو في مصر.

إننا مقتنعون بأن تحالفاً عميقاً يجب أن ينظم العلاقة بالقوى الإسلامية من التيار الأول؛ تحالفاً يقوم على أساس التصدي للعدو القومي والصراع ضده. هذا عامل يعطي التحالف ديمومة، ولفترة غير قصيرة. لكن هذا مشروط بأن يقوم العمل المشترك على أساس ديمقراطي، بمعنى التعامل مع المجتمع بديمقراطية؛ أي الإقرار بحرية العمل الفكري والسياسي والاجتماعي والإعلامي والتنظيمي، وترك الحرية كاملة للجماهير من أجل الانتظام أو تأييد أي حزب أو فكر تريد، إضافة إلى الإقرار بحرية الاجتهاد والاختلاف ونبذ حل التعارضات الداخلية بالعنف.

لقد التقيت قيادات من «حزب الله»، والتقيت الشيخ أحمد ياسين في الأردن بعد تحرره، وكذلك الأخ خالد مشعل، وتحدثت معهم في شأن هذا الجانب، قلت: صحيح أننا مختلفون في الجانب الأيديولوجي، لكن هناك أسساً للعمل المشترك قد تبقى قائمة عشرات الأعوام في مواجهة العدو الصهيوني. وقد وجدتُ تفهماً على هذا الصعيد.

هذا بصورة عامة. مع ذلك، تبقى الأمور بحاجة إلى المزيد من الحوار والتفاعل لإنضاج الفكرة سياسياً وعملياً. أمّا التيارات الأُخرى في القوى الإسلامية، فإننا نختلف معها وننتقد ممارساتها.

■ **أتصور أن هناك خلافاً أيضاً بشأن المجتمع الذي يتصدون لبنائه؟**

□ نعم، نعم. أتحالف مع بعض هذه القوى الإسلامية على بند واحد هو محاربة إسرائيل، وأدعو إلى التزام الديمقراطية للتعامل معهم في

القضايا الخلافية. هناك من يرى أنه مهما نركز على الجانب السياسي فإن الموضوع الاجتماعي يفرض نفسه. لكن الأوضاع وحركة الأحداث هي، في الواقع، التي تفرض التحالف في مواجهة إسرائيل والصهيونية، من دون إلغاء الخلاف في الميدان الاجتماعي.

■ **أعتقد أن للحركات الإسلامية، في لبنان وفي فلسطين، وضعاً مختلفاً عن بقية الحركات الإسلامية في الدول العربية الأُخرى؛ فهي تعطي الصراع ضد إسرائيل الأولوية.**

□ تماماً. وفي الأردن هناك حالياً جبهة العمل الإسلامي التي تدرك الخطر الصهيوني وضرورة التصدي له، وتسعى لمقاومة اتفاق وادي عربة.

■ **هل تعتقد أن العولمة تشكل خطراً على الهوية القومية؟**

□ يجب، أولاً، أن نحدد ماذا نقصد بالعولمة. فإذا كان المقصود تواصل الشعوب وتفاعلها على المستوى العالمي، وثورة العلوم والاتصالات، فهذا شيء. أمّا إذا كان المقصود الفهم الأميركي للعولمة، أي هيمنة الغرب ـ وخصوصاً أميركا بقوتها وثقافتها ومعاييرها ـ على العالم، فهذا شيء آخر.

إن المفهوم الأول يفرض التواصل والتفاعل والتكامل بين الأمم والشعوب والحضارات والثقافات. أمّا المفهوم الآخر، فيفرض المقاومة والممانعة كونه يهدد، فعلاً، حرية الأمم والشعوب لأنه يقوم على أساس الهيمنة والتفوق ومنطق القوة والقهر وجعل النموذج الرأسمالي الغربي عامة، والأميركي خاصة،

هو المعيار للتطور؛ فهو يقوم على نفي حق الآخر في التمايز والاختلاف، وهو يفرض تبرير السيطرة. إنه بهذا المعنى تعبير عنصري فاشي، يرى في العالم الثالث ميداناً للنهب وسوقاً للاستهلاك، لا يحق له الإنتاج إلاّ وفق معايير العالم الرأسمالي؛ أي تحويلنا إلى مستهلكين للإنتاج الغربي وللثقافة الغربية، واستلابنا الكامل، والتضاد مع تاريخنا وحضارتنا وثقافتنا. هل يبقى بعد كل هذا شيء؟

أمّا العولمة بالمعنى الإيجابي، أي التفاعل والتواصل والتكامل، فهي ضرورة تنسجم مع قيمنا وحضارتنا واحترام تراثنا وتاريخنا وخصوصيتنا وإنسانيتنا، بشرط امتلاك شروط وأدوات التفاعل والتواصل، بما في ذلك الحرية والقدرة على ممارسة التفاعل بين الحضارات والثقافات. فأي تجربة أو حضارة أو ثقافة لأي شعب هي، في المحصلة، خبرة للإنسانية جمعاء يجب احترامها ومحاورتها، كما أنها عملية إغناء متبادل.

بهذا المعنى يُحل إشكال الأصالة والحداثة. فالأصالة لا تعني الانغلاق، والحداثة لا تعني التغريب. وضمن السياق ذاته، يأتي مفهوم القومية الذي هو مفهوم مرتبط بالمكان والزمان، ومتحرك بحركة الواقع التاريخي.

أنا لا أستطيع القول إن القومية أبدية. لكن أستطيع القول إن هناك، في هذه الفترة التاريخية الطويلة، ثوابت ـ ومنها القومية ـ وبالتالي لا أعتقد أن العولمة ستكون قادرة على محوها.

القضية الفلسطينية والعالم

■ ثمة من يعتقد اليوم أن ارتباط القضية الفلسطينية (والقضية العربية أيضاً) بالاتحاد السوفياتي ومعسكره في الماضي، كان مضرّاً بهذه القضية أكثر مما كان مفيداً لها. كيف يقوّم جورج حبش تلك المرحلة؟ ما كان الإيجابي فيها وما كان السلبي؟ وهل كان هناك خيارات أُخرى؟

□ على الرغم من أية أخطاء وقع فيها الاتحاد السوفياتي في المرحلة السابقة، فإنني لا أعتقد أن من الإنصاف تحميله مسؤولية إخفاقاتنا وفشلنا؛ فهل يمكن أن نتخطى حقيقة أن الاتحاد السوفياتي كان قطب التوازن على الصعيد الكوني في مواجهة الجبروت الأميركي.

بالتأكيد كان الاتحاد السوفياتي يتصرف انطلاقاً من رؤيته واستراتيجياته ومصالحه. لكن السؤال الأهم في تقديري هو: هل استفاد العرب كما يجب من حالة التوازن التي فرضها الاتحاد السوفياتي، طوال عقود كاملة، في صراعهم ضد الهيمنة الإمبريالية والمشروع الصهيوني؟

عندما كان الاتحاد السوفياتي يتخذ مواقف فيها تعارض مع مصالحنا، كالموقف من قرار التقسيم، والوحدة بين مصر وسورية،

كنا نعارضه ونقف إلى جانب مصالحنا.

بعد ذلك لا يجوز التنكر للتاريخ، ولا يمكن أن ننسى للاتحاد السوفياتي الموقف الإيجابي في أثناء العدوان الثلاثي على مصر، والسد العالي، وتسليح الجيشين المصري والسوري، وحرب تشرين، ومواقفه في المؤسسات الدولية إلى جانب حقوقنا. وفي الواقع، ما كان للوضع أن يكون بهذا السوء لو بقي الاتحاد السوفياتي قوة متماسكة وفاعلة، ولما وصلت الغطرسة الأميركية إلى هذا المستوى الجنوني.

لقد كان التحالف، في الإجمال، مفيداً لقضيتنا ولأمتنا، من دون أن يعني ذلك ضرورة حصره بالاتحاد السوفياتي. فهناك تجربة عدم الانحياز، والصين، وضرورة التحرك على الصعيد الأوروبي.

■ **في ضوء التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل، كيف يجب أن يكون الموقف العربي من الولايات المتحدة: هل ترون مقاطعتها، أم الضغط عليها لتحييدها؟ وما هي وسائل هذا الضغط؟**

□ أولاً: هناك تحالف عميق بين الولايات المتحدة وإسرائيل. أمّا عندما تبرز تعارضات، فينبغي لنا أن نستفيد من ذلك.

ثانياً: ليس الانتصار على أميركا هو الشرط لتحقيق أهدافنا، ولا يمكن القول إننا لا نستطيع أن ننتصر على إسرائيل إلاّ إذا انتصرنا على أميركا. لماذا؟ لأننا نريد مصارعة موقع من مواقع الإمبريالية الأميركية، وليس أميركا. أنا أصارع

هذا الموقع المرتبط بالإمبريالية، وشرط انتصارنا في هذا الموقع لا يعني مقارعتنا للإمبريالية في كل المواقع والانتصار عليها.

■ **إلى متى تبقى الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في العالم؟ وكيف تتصور الاستراتيجيا الفلسطينية (والعربية) لبناء علاقات مستقبلية مع عالم متعدد الأقطاب؟**

□ لا أعرف إلى متى. لكنني أستطيع القول إن الأمور، عالمياً، تسير في اتجاه تعدد الأقطاب. والتصور الذي طرحه الرئيس الأميركي، بوش، عبر مقولة العالم الجديد ودور أميركا، لم يتحقق على الأرض. فهناك حضور متنام لأقطاب مثل الصين واليابان وأوروبا.

ضمن هذا التصور أرى أن على العرب والفلسطينيين الاستفادة من هذه الأقطاب الصاعدة لمواجهة التفرد والهيمنة الأميركية وحليفتها إسرائيل، وخصوصاً أن مصالح أوروبا واليابان، والأهم الصين، تتناقض مع الهيمنة الأميركية، ولا سيما على النفط العربي. وهذا يستدعي من العرب استثمار ما يملكون من أوراق اقتصادية وجغرافية وبشرية بصورة ملائمة لمصالحهم، وعدم وضع رهانهم في سلة الولايات المتحدة.

المستقبل

■ تحتفل إسرائيل والحركة الصهيونية هذه الأيام بمرور خمسين عاماً على قيام إسرائيل، ومئة عام على تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية. ويتذكر العرب اليوم كل الهزائم التي منيوا بها في الفترة نفسها. لماذا انتصرت الصهيونية؟ ما هي عناصر تفوقها في الاستراتيجيا والتكتيك؟

□ هذا السؤال يجب أن يشغل عقل كل مفكر وقائد وحزب عربي. ذلك بأن انتصار العدو ليس مصادفة. وإسرائيل لم تنتصر علينا بصورة متتالية من دون أسباب؛ فللانتصار أسبابه مثلما للهزيمة أسبابها. ولعل النصر أو الهزيمة يتقرران قبل حدوثهما؛ يتقرران في مقدماتهما على أكثر من مستوى وصعيد.

إن أول أسباب انتصار المشروع الصهيوني يكمن في أن قياداته أدارت الصراع بصورة شمولية، وعلى أساس استراتيجيا صراعية متقدمة. ويخطىء من يظن أن الحركة الصهيونية مجرد عصابات منفلتة. يمكن وصفها خلقياً من جانبنا بالعصابات، لكنها في الواقع قامت بدورها ووظيفتها ارتباطاً بأهدافها من النقطة التي وصلت إليها أوروبا والدول الصناعية على صعيد التطور.

هذا عنوان أول. العنوان الثاني هو تركيم مكونات القوة

الشاملة واستخدام آخر ما وصلت إليه العلوم التطبيقية والإدارة والسياسة من إنجازات؛ أي أن إسرائيل تعاملت مع مفهوم القوة بصورة شاملة. بهذا المعنى تُعتبر قوة إسرائيل العسكرية تتويجاً لمنظومة متكاملة من التقدم التعليمي والعلمي والسياسي والاجتماعي. وقد احتل العلم مكانة متقدمة في الاستراتيجيا الصهيونية، بدءاً من إنشاء الجامعة العبرية في العشرينات، مروراً بامتلاك مقدمات إنتاج الأسلحة الذرية في الخمسينات، وصولاً إلى تطوير إنتاجية العمل في الصناعة والزراعة بصورة كثيفة.

لم يكن هذا ليكون لولا اعتماد معايير إدارة سياسية في المجتمع تحفظ حيويته وترتقي بديمقراطيته الداخلية؛ معايير تعود دائماً إلى ما هو سائد في أكثر الدول تطوراً. ولم تهبط إسرائيل بمعايير أدائها إلى مستوى أداء خصمها العربي. هكذا نجد أن المسافة، أو الفجوة، التي رافقت بواكير الصراع الأولى استمرت في التوسع والتعمق مع مرور الزمن، الأمر الذي تُرجم دائماً بهزائم عربية متتالية.

الموضوع الآخر، في هذا السياق، يتمثل في صوغ معايير تتلاءم مع مصلحة المشروع العليا، وهي معايير كانت تتخطى الأفراد والأحزاب؛ وفي ضرورة الارتقاء بالأفراد إلى مستوى حاجة الوظيفة والدور المطلوب تأديتهما، وليس العكس.

كما أن هناك مسألة أُخرى هي نجاح الحركة الصهيونية في استثمار ما هو متاح ومتوفر من إمكانات بأعلى درجة من الكثافة،

وتقليل التبديد إلى أدنى مستوى. ويشمل هذا الاستفادة من الشتات اليهودي، ومن الكفاءات اليهودية المنتشرة في العالم، لخدمة المشروع المركزي.

يضاف إلى ذلك، القراءة العلمية لمعطيات الواقع في كل مرحلة من المراحل، وتحديد المهمات بالاستناد إلى ما هو قائم وممكن للاقتراب خطوة أو خطوات من أهداف المشروع. وهكذا نجد أن أهداف المشروع الصهيوني المرحلية/التكتية كانت في حركة دائمة إلى الأمام. وما أن تتحقق الأهداف في مرحلة معينة حتى تصبح أساساً مادياً ثابتاً لمنظومة جديدة من الأهداف الأبعد، وهكذا.

لهذا اتصفت الاستراتيجيا الصهيونية بعلمية الرؤية ودقة الأداء، واتسمت بمستويات متنوعة، بعضها معلن وبعضها مضمر، لكنها لم تكن غامضة بالنسبة إلى النخب القيادية الصهيونية. وكان التكتيك يتسم بالمرونة العالية ارتباطاً بمعطيات الصراع والواقع. لهذا نجد أن إسرائيل استطاعت أن تحقق معظم أهدافها وهي تتحدث بلغة دفاعية، حتى جيشها يسمى «جيش الدفاع الإسرائيلي»، بينما هي في الواقع كانت باستمرار في حالة هجوم.

مما تقدم نخلص إلى نتيجة هي أن النصر مشروط بمقدماته. وبقدر ما أن الصراع كان يجري بين حق وباطل، فإنه أيضاً كان يجري بين حق ضعيف وباطل قوي؛ بين حق لم يستثمر ما يملك من إمكانات بصورة كثيفة، وبين باطل يراكم عناصر القوة واستثمار

عامل الزمن بصورة متواصلة. هكذا استمرت المسافة في الاتساع بين حق يفقد مواقعه عملياً، وبين باطل يتقدم ويواصل الهجوم.

هذه، بصورة مركزة، رؤيتي لإسرائيل وتجربتها. وهي تحتاج إلى قراءة ومراجعة أوسع وأشمل؛ وهذا واجب جميع العرب والفلسطينيين؛ وهو شرط لازم للانتصار، إذ لا يمكن الحديث عن الانتصار في غياب الرؤية العميقة للخصم الذي نصارعه.

■ هل يمكن أن تجيب بصورة مكثفة عن السؤال: لماذا هُزمنا؟ ما هو مشروعك المستقبلي، وما هي أبرز عناوينه؟

□ الإجابة عن هذا السؤال نضجت من خلال إجابتي عن السؤال السابق. بمعنى أن أسباب انتصار الطرف الآخر هي أسباب هزيمة بالنسبة إلينا. وهنا أود أن أضيف أن أميركا وقوتها عامل مهم، لكنهما عامل خارجي، وليسا الأساس في هزيمتنا.

حتى ولا دور الرجعية العربية، أو الخونة، هو الأساس. يجب أن نتوقف أمام أخطاء القوى التي راهنّا على الانتصار معها. يعني موضوع حركة التحرر العربية، موضوع عبد الناصر، موضوع اليسار الفلسطيني. أي، باختصار، البحث عن أسباب الهزيمة أولاً في الداخل، في الذات، من دون إغفال العوامل الموضوعية طبعاً.

أول ما يجب التركيز عليه هو الديمقراطية. لو قام نظام عبد الناصر على أسس الديمقراطية لتغير الوضع. ولو كانت الديمقراطية هي التي تحكم العلاقات في الثورة الفلسطينية لتغير الوضع.

■ أخشى، حكيم، أن تتحول الديمقراطية هذه الأيام إلى مشجب جديد نعلّق عليه عجزنا وفشلنا كما فعلنا من قبل مع شعار الوحدة، ثم شعار الاشتراكية. فللديمقراطية شروطها غير المتوفرة في الحياة العربية، لا على مستوى الأنظمة ولا على مستوى الشعوب (الأحزاب والجمعيات والمؤسسات والمنظمات والحريات ..إلخ).

□ لتفسير أسباب الهزيمة، لا أكتفي بموضوع الديمقراطية. أنا أريد تحديداً وتحليلاً كاملين للهزيمة، بما في ذلك أسلوب عملنا والقوانين التي حكمت كل هذا. أعطيك مثلاً واحداً هو قانون معروف، أو يفترض أن يكون معروفاً وحاضراً باستمرار، أقصد مبدأ تراكم وتكامل العوامل والمراحل. وقد كان علينا كثورة فلسطينية، وكحركة تحرر وطني، أن نعمل على أساس هذا القانون.

طبعاً، ليس هذا هو القانون الوحيد. في أية حال، لو عملنا بحسب هذا القانون، وقلنا: ليس بالضرورة أن تأتي الوحدة العربية كاملة دفعة واحدة، لتم مثلاً حل موضوع جوازات السفر، أو موضوع اقتصادي معين وهكذا.. بمعنى التراكم والتكامل على مختلف الصعد الثقافية والسياسية والاقتصادية ..إلخ. هذا كما قلت لك قانون من القوانين التي كان من المفروض أن تحكم عملنا.

مع ذلك، فإن هذا الموضوع يشغل تفكيري كثيراً هذه الأيام. وأفكر في نواة مركز أبحاث لهذا الغرض، وعقد ندوات فكرية يشارك فيها مفكرون عرب من كل الاتجاهات، لمناقشة هذا

الموضوع ..إلخ. إلى جانب ما تقدم أضيف، طبعاً، ما ذكرته في الإجابة عن السؤال السابق.

■ كيف يتشكل المستقبل الذي يريده جورج حبش للأمة العربية؟ وما هي أشكال النضال لبلوغه؟

□ أولاً، يجب أن ننتصر على المشروع الصهيوني. وسبب تركيزنا على هذا الأمر هو أنه قضية موضوعية. إذا لم ننتصر ستأتي إسرائيل وتأخذ كل شيء: كرامتنا وأرواحنا وثرواتنا واقتصادنا، وما إلى ذلك. ثم إن الانتصار على المشروع الصهيوني مرتبط بالوحدة على أساس تراكمي، كما ذكرت، أي مرتبط بعمل سياسي ناضج يوحد كل إمكانات هذه الأمة بدلاً من البعثرة القائمة الآن في مواجهة إسرائيل.

وعلينا أن نعرف أننا دول متخلفة وأمة متخلفة، تحتاج إلى عملية نهوض شاملة، تأخذ بعين الاعتبار الأصالة والحداثة. كما يجب تنظيم مجتمعاتنا على أساس التنظيمات والنقابات المتخصصة والمهنية. هذا هو التصور العام.

■ هل ثمة مكان، في رأيك، لإسرائيل غير صهيونية وسط الوطن العربي؟ وما هي شروط ذلك؟

□ لقد برز بين اليهود، في القرن التاسع عشر، تياران: التيار الصهيوني، وتيار آخر يدعو إلى الاندماج. انتصر التيار الصهيوني. لا أعتقد أن ثمة إمكاناً لقيام إسرائيل غير صهيونية. ولو حدث ذلك لأصبحت أقلية في الوطن العربي.

■ هذا يعني إضافة فشل جديد إلى فشلنا في معالجة مسألة الأقليات في الوطن العربي، حتى إننا نكاد نحوّل كل أقلية إلى إسرائيل جديدة.

□ يجب أن ننجح. لا مفر من أن ننجح في حل مسألة الأقليات على أساس ديمقراطي؛ أي أن نعطيها حقها في تقرير مصيرها.

■ إلى حد منح هذه الأقليات حق إقامة دول خاصة بها؟

□ كلا، كلا، ليس بالضرورة. فحق تقرير المصير قد يتخذ عدة أشكال، وذلك ارتباطاً بكل حالة. وقد عالج لينين هذا الإشكال بصورة معينة. لكن، بصورة عامة، يجب رؤية المصالح المشتركة. على سبيل المثال: أين تكمن مصالح الأكراد، هل هي في تمزيق العراق أم في العراق الموحَّد؟ مع ضرورة صوغ العلاقة بوضوح، وعلى أسس ديمقراطية تحفظ للأقلية شخصيتها وثقافتها.

■ موضوع الأقليات يبدو أنه يأخذ أبعاداً حساسة: مثلاً الأقباط في مصر، ثمة من يطرح أنهم أقلية يحق لها تكوين خاصية معينة. بعض الموارنة في لبنان طرح هذا الموضوع على شكل أن في لبنان كتلتين بشريتين بينهما فوارق ثقافية وحضارية، وبالتالي لكل كتلة الحق في تنظيم حياتها بالشكل الذي يلائمها.

□ هنا أرجو الانتباه وعدم الخلط. هناك فارق شاسع بين أقليات قومية لها لغتها وثقافتها ونفسيتها المتميزة والمختلفة، وبين الأقليات الدينية والطائفية. ولهذا أود التشديد، وبحزم، على مسألة أسمع في شأنها آراء واجتهادات تتعلق بالمسيحيين العرب/ الموارنة، الأقباط،

الأورثوذكس.. إلخ، وأيضاً اليهود.

لا يجوز مطلقاً التعامل مع المسيحيين باعتبارهم خارج النسيج الاجتماعي والحضاري للأمة العربية؛ إنهم ببساطة عرب أصيلون، لهم معتقداتهم الدينية التي لا تمس هويتهم القومية والثقافية. وهل يمكن أن ننسى الدور الذي أدّاه المثقفون العرب المسيحيون في لبنان للارتقاء بالثقافة واللغة العربية. ماذا أقول؟ إنهم، باختصار، عرب جذوراً وتاريخاً وحضارة وثقافة، وعليهم أن يتصرفوا على أساس هذه الحقائق. وهذا يشترط مسألتين: أن تدرك الأغلبية العربية المسلمة هذه الحقيقة جيداً، وقد نجح الإسلام تاريخياً في إقرار التنوع وحرية المعتقد الديني، وبالتالي التعامل الديمقراطي مع المواطن على أساس المواطنة المتساوية بالكامل والحرية في الاعتقاد الديني للفرد والطائفة؛ هذه مسألة أولى.

المسألة الثانية، أن تدرك الأقليات الطائفية أنها جزء أصيل من أمتها العربية، وأن تعمل على هذا الأساس؛ وواجبها الحفاظ على هويتها القومية، يتساوى في هذا المسلم والمسيحي، السني والشيعي، القبطي والسرياني...

أمّا استلابها واعتماد مرجعية سياسية وثقافية لنفسها من خارج واقعها وتاريخها وحضارتها، فهذا يحاصرها ويعزلها. فهي، في كل الأحوال، ليست جسر عبور للغرب إلى الشرق. ويجب تصفية ذيول ما تراكم عبر التاريخ عندما استخدم الاستعمار الأقليات الطائفية لتمرير مشاريعه الاستعمارية. قد تكون قوة تواصل وتفاعل

وهمزة وصل، هذا جيد، وهو دليل عافية وقوة لها وللمجتمع؛ فأحد تجليات قوة المجتمع يكمن في قدرته على استثمار تنوعه الثقافي والجغرافي والمناخي والإثني والطائفي، لكن على أساس تكامل عميق شامل وديمقراطي.

■ **في الواقع هي مشكلة الأكثرية أكثر مما هي مشكلة الأقلية، لأن الأكثرية في العالم العربي لم تشكل مجتمع المساواة والعدل لكل المواطنين. أمّا إذا قبلنا بقيام دول على أساس طائفي، فإن إسرائيل نموذج؟ هل ترى أن يكون الحل في فلسطين بقيام دولتين عربية ويهودية على أرض فلسطين، أم باندماج العرب الفلسطينيين في الدولة اليهودية القائمة على طريق انبثاق دولة ديمقراطية ثنائية القومية يتمتع جميع سكانها بحقوق متساوية؟ يطرح بعض المفكرين الفلسطينيين اليوم مثل هذا المشروع في مواجهة مشروع الدولة. أي أن يبقى الوضع على ما هو عليه، ويكون للفلسطينيين أن يتنقلوا ويتصلوا بعضهم ببعض ويعيشوا في كل فلسطين.**

□ هؤلاء الناس لا يعرفون حقيقة المشروع الصهيوني وأهدافه؛ إنه صراع حياة أو موت، كما ذكرت سابقاً.

■ **حكيم، هل أنت مع دولة فلسطينية أم لا؟**

□ أنا أريد دولة فلسطينية في هذه المرحلة. وأعتبر هذا الموضوع مرحلياً، لأنني أريد كل فلسطين، كلها.

■ **فلسطين على أساس دولة ديمقراطية ذات حقوق متساوية**

للجميع؟

□ نعم.

■ **كيف تكون، في رأيك، العلاقة الصحيحة بين العروبة والإسلام؟**

□ إن إشكال العروبة والإسلام يبدو للبعض معقداً. لكنه، بحسب قناعاتي وبحسب الرؤية التي أؤمن بها، معادلة بسيطة إذا ما أعيدت المسائل إلى طبيعتها.

فالعروبة تعبير عن إطار قومي في الزمان والمكان المحددين. أقول إنها إطار ضمن فهم يراها في حركتها، ويرى واقعها وصعوباتها، ويرى حال التمزق الجاري والتعثر الذي يواجهه التحرر القومي، ويرى المخططات الاستعمارية والتشويه الثقافي.

أمّا الإسلام فهو دين. هذا أولاً، لكنه لا يقف عند حدود فهم الدين كمجرد شعائر وطقوس إيمانية، إذ إن الإسلام تخطى هذا الفهم إلى مستوى أشمل وأعمق؛ إنه مكوّن ثقافي وحضاري ونفسي وتراثي لهذه الأمة. وبهذا المعنى فهو أحد المضامين الأساسية، إن لم يكن الأهم، للقومية العربية. وبهذا المعنى، أيضاً، يمكن القول إن ثقافة المسيحي العربي هي إسلامية. إذاً يجب تحديد التخوم، لكن على قاعدة التفاعل بين مفهومي العروبة والإسلام.

نستطيع الحديث عن الإسلام في باكستان بمعزل عن العروبة، لكننا لا نستطيع الحديث عن الإسلام في الوطن العربي بمعزل عن العروبة. كما لا يمكن الحديث عن العروبة بمعزل عن عمقها الإسلامي الروحي والثقافي والحضاري. بهذا المعنى لا يمكن

الفصل بين الإطار والمضمون، بين الشكل والمحتوى، إن جاز التعبير.

بعد هذا التوضيح، تواجهنا سلسلة متتالية من الإشكالات التي تفرض المعالجة. ذلك بأن العروبة والإسلام يتعرضان لتناقضات وتفاعلات وتشويهات شتى. كما أنهما يواجهان تحديات كبرى، من نوع: الأصالة والحداثة؛ الوحدة والتنوع؛ استحقاقات التطور وتقدم العلوم؛ استحقاقات الحفاظ على التميّز الثقافي والحضاري؛ الانغلاق والانفتاح على الآخر؛ التفاعل والتواصل في مواجهة الهيمنة والاستلاب.

وهذه مهمة تواجه القوى القومية والقوى الإسلامية في الوقت ذاته، مع الإشارة بصورة أساسية إلى ضرورة عدم وضع علامة مساواة بين العروبة/القومية والأحزاب التي تحمل هذه الفكرة، كما يجب عدم وضع علامة مساواة بين الإسلام وقوى الإسلام السياسي. فالإسلام ليس حكراً على أحد.

فأنا كماركسي/يساري الثقافة، والتراث الإسلامي جزء أصيل من بنيتي الفكرية والنفسية، معني بالإسلام بقدر أي حركة سياسية إسلامية. كما أن القومية العربية مكوّن أصيل من مكوناتي. وكذلك ماركسيتي تنطلق في الأساس لإغناء مضامين القومية والثقافة الإسلامية بأبعاد جديدة. أي أنني أرى في دوري كيساري مواصلة الإغناء والارتقاء بالقومية وبالثقافة استجابة لتحديات العصر، لكن لا على أساس القطع مع التاريخ والتراث، وإنما على أساس التطور

الأصيل الذي يلتزم ويؤمن بالتواصل والإبداع وإنتاج الثقافة لا بالاستيراد والاستهلاك العشوائي، أو بإغلاق الدوائر والجمود عند الماضي وكأن لا جديد تحت الشمس. هكذا أنا، إنني في حال انسجام مع قوميتي العربية ومسيحيتي وثقافتي الإسلامية وماركسيتي التقدمية.

خلاصات

■ **أين يقف جورج حبش اليوم: الزمان، المكان، العائلة، الأصدقاء، القضية؟**

□ أقيم اليوم في سورية، وأتردد بين وقت وآخر إلى الأردن. وسبب التردد هو موضوع الأحفاد في الدرجة الأولى. أنا أتمنى لو تكون ساحة لبنان مفتوحة لي لأنني أمضيت ثلث عمري في لبنان، وكذلك مصر لأنني أعتبرها قاعدة العمل العربي الوحدوي.

لا أستطيع تصور تحقيق أهدافنا القومية من دون أن تكون مصر في قلب هذه المعادلة. لكن لبنان شيء آخر؛ إنه مرتبط بالذكريات: الجامعة، السباحة، مطعم فيصل، المقاهي، لبنان الطبيعة، لبنان الشعب، بيروت، لبنان الحريات، وكل شيء. وللناس في لبنان أيضاً خصوصية.

هذا من حيث المكان. أمّا من حيث الزمان، فأنا الآن شخص تجاوز السبعين، أتمتع بالإرادة، مصمم على أن أستمر في النضال ضد هذا السرطان الصهيوني الرهيب، وعلى بناء المجتمع العربي الموحَّد والمزدهر.

بالنسبة إلى العائلة لم أكن أفكر في الزواج، على أساس أنني سأتفرغ للنضال، وبسبب صعوبة الجمع بين النضال والمسؤوليات

العائلية. وعندما جاء عبد الناصر والوحدة، تصورت أن الطريق فُتح أمام تحقيق أهدافنا، وبالتالي أصبح في الإمكان الجمع بين هذه الأمور؛ فقد كنت معجباً بابنة عم لي اسمها هيلدا، والتي أصبحت زوجتي فيما بعد. لكنني كنت دائماً أتساءل: هل من الممكن أن تتحمل هيلدا حياتي القاسية وهي التي نشأت في جو عائلي هادىء بعيداً عن السياسة، ومن أسرة موسرة؛ إذ كان والدها من التجار المعروفين في القدس؟ كانت هذه الأشياء كلها كافية لإثارة مخاوفي. لكن ما كاد يمضي شهران على زواجنا حتى حدث الانفصال بين مصر وسورية وانهارت الوحدة وقامت التظاهرات، وإذا بزوجتي هيلدا في قلب هذه التظاهرات تشارك فيها بحماسة شديدة.

بعد الانفصال صارت حياتي موزعة بين سجون واعتقال واختفاء وأحكام إعدام. وتحملت زوجتي كل ذلك بصبر وتصميم، كما تحملت شظف العيش وقسوته من تنقل وعدم استقرار واختفاء وتشرد. وكانت ذروة عطائها في لبنان في أثناء الحرب الأهلية، إذ كان لها نشاطات كثيرة في مجالات العمل الاجتماعي، من جمع التبرعات والعناية بأُسر الشهداء والجرحى والمهجَّرين؛ فقد كانت دائماً في قلب الأحداث تعيش هموم شعبها عن قرب. وعندما احتُجِزْتُ في فرنسا من قبل قوات الأمن الخاصة بمكافحة الإرهاب (DST)، تحت ضغط الهجمة الصهيونية الشرسة التي حاولت تحويل رحلتي للعلاج إلى قضية سياسية كبيرة، قامت هيلدا بدور

بارز، وأبدت شجاعة عالية في التصدي لقوات الأمن الخاصة، واستطاعت أن تمنع القاضي بروغيير من استجوابي والتحقيق معي. وسيبقى هذا الموقف مصدر اعتزاز بالنسبة إليّ.

وبمناسبة هذا الحديث، أرى من واجبي التذكير بوضع المرأة العربية ودورها وسط مجتمع يمارس الاضطهاد على ثلاثة صعد: القومي، والطبقي، والاجتماعي.

موضوع العائلة لم يعد مقصوراً على أم الميس فقط، بل يشمل أيضاً ابنتينا، ميساء ولمى، والأحفاد الذين «تعرّفت» إليهم بصورة أفضل عندما فرض الأطباء عليّ راحة قسرية.

أمّا الأصدقاء، فثمة صداقات عميقة جداً. هنا في سورية، وفي الأردن ولبنان وفلسطين والجزائر ومصر واليمن، وفي غيرها من أقطار الوطن العربي؛ وكلها صداقات ذات وجه شخصي، وآخر مرتبط بالقضية ارتباطاً حميماً.

أمّا على صعيد القضية الفلسطينية، فإن ما يشغلنا الآن هو المؤتمر العام السادس للجبهة. سيقف المؤتمر أمام مراجعة جادة، انطلاقاً من أن هناك مرحلة نوعية وجديدة تستدعي تقويماً شاملاً ودقيقاً للمرحلة السابقة.

هذا موضوع كبير. وأنا أتمنى لو يمتد بي العمر أكثر حتى أستمر في النضال لتحقيق أحلام شعبنا. لكن ثقتي بالشباب قوية. نريد أن نبني الجبهة على أسس جديدة بكل ما للكلمة من معنى، مع الحفاظ على الاستمرارية مع تاريخنا وما راكمناه من خبرة

وتجارب وإنجازات. إذ يجب ألاّ نقول إن الماضي انتهى سلباً بهذا الشكل ونقطة على السطر. يصعب الحديث عن المؤتمر إلاّ من خلال الوثائق التي ستصدر عنه. ولا بد من أن يكون لهذه الوثائق خصوصياتها وتميُّزها النوعي من المؤتمرات السابقة، باستثناء المؤتمر الخامس الذي منحته الانتفاضة خصوصية مميزة.

أمّا المؤتمر السادس فسيتوقف أمام أسئلة المئة عام على قيام المنظمة الصهيونية، والخمسين عاماً على قيام إسرائيل، كما سيتوقف أمام السؤال الكبير: لماذا هُزمنا؟

■ **ما هي أشكال النضال التي مارستها الجبهة بعد بيروت حتى الآن، بعد توقف الكفاح المسلح؟ ما هي الأشكال التي بقيت وشكلت عنصر تماسك الجبهة؟**

□ بعد بيروت استمر عملنا على أساس رؤيتنا لأهمية الكفاح المسلح ومكانته، وخصوصاً مع جبهة المقاومة الوطنية في لبنان، ومحاولة الفعل والنشاط في الأرض المحتلة. وهذه رؤية لا تزال قائمة، على الرغم من القصور وتراجع الفعالية العسكرية قياساً بالمرحلة السابقة. وبهذا المعنى، لا يمكن القول إن الكفاح المسلح انتهى. فهذه مسألة غير مرتبطة برغبة الأفراد أو الأحزاب، وإنما بطبيعة الصراع. مع ذلك، فقد علمتنا الانتفاضة أن هناك وسائل متعددة لإلحاق الضرر بإسرائيل وإزعاجها وتكبيدها الخسائر البشرية والاقتصادية. صحيح أن الكفاح المسلح يبقى أسلوباً أساسياً، لكن هناك أيضاً العمل الانتفاضي والعمل الجماهيري؛

أي، باختصار، نحن أمام اشتباك شامل يفرض كل أشكال النضال.

■ **هل جربتم، مثلاً، العمل المشترك مع «حزب الله» انطلاقاً من جبهة الجنوب اللبناني؟**

□ قبل بروز «حزب الله» كان هناك تفاعل وتحالف بيننا وبين الحزب الشيوعي وغيره من القوى اللبنانية المناهضة للاحتلال. وعلاقاتنا بـ «حزب الله» جيدة، وننظر باعتزاز واحترام إلى تجربته الكفاحية. وليس لدينا ما يمنع من الارتقاء بالعمل المشترك لمواجهة العدو المشترك.

■ **هل جرى حديث معهم ورفضوا. أم لم يجر حديث في الأساس؟**

□ كلا. التقيت السيد حسن نصر الله، الأمين العام لـ «حزب الله»، وتحدثنا في هذا الموضوع وفي غيره، وبدا لي أن لدى «حزب الله» رؤيته وحساباته الخاصة به. لكن ليس هناك ما يمنع من مواصلة الحوار، فالأحداث متحركة وكذلك المواقف.

■ **في مخيمات لبنان، أما زالت الجبهة قائمة في تنظيماتها؟**

□ نعم، نعم، بكل إمكاناتها.

■ **هل من أشكال أخرى للنضال انطلاقاً من لبنان، في غياب إمكان الكفاح المسلح؟**

□ هناك القضايا الحياتية للجماهير الفلسطينية، والنشاط السياسي والدبلوماسي في اتجاه الوحدة الفلسطينية وحق العودة. الموضوع لا يتوقف على الكفاح المسلح فقط. ثمة الآن عمل سياسي،

وجماهيري، ودبلوماسي. أمّا الكفاح المسلح، فهو شأن متحرك وفق المعطيات وحركة الأحداث والتوازنات.

■ **هل لديكم تصور لحل مسألة الفلسطينيين في لبنان؟**

□ العودة، والنضال من أجل العودة. لا يمكن أن نقبل بالتوطين. نضالنا الآن في لبنان هو على أساس العودة، وعلى أساس الاهتمام بالقضايا الحياتية. ويجب أن نتحالف مع القوى اللبنانية، وأن نتصالح مع المجتمع اللبناني.

إن لمن الظلم والإساءة، بالمعنى الإنساني والخلقي والقومي، التعامل مع الفلسطينيين في لبنان بالطريقة الجارية من قبل الحكومات اللبنانية. فالفلسطيني لا يمكن كشعب أن يتخلى عن حقوقه الوطنية، بل إن وضع الناس في حالة من القهر، وملاحقتهم في لقمة عيشهم، وحرمانهم من الخدمات الأساسية إلاّ ما تقدمه الأونروا، هي التي تدفعهم بالمعنى الفردي إلى البحث عن مخارج فردية كالتجنيس؛ وهذا هو التوطين بعينه.

لنأخذ مثلاً حياً واقع التجمع الفلسطيني في سورية: إنه يتمتع بكل ما يتمتع به المواطن السوري، على صعيد التعليم والعمل والخدمات، باستثناء حق الانتخاب والترشيح. لهذا فالفلسطينيون في سورية يحتفظون بهويتهم وبجنسيتهم، وليس لديهم هاجس التوطين، ولا يفكر أحد في ذلك.

فلماذا الأمور في لبنان تسير بصورة معاكسة، هل بهذا تتم مواجهة خطر التوطين؟

■ **لكن معظم أطراف ما كان يسمّى الحركة الوطنية اللبنانية أصبح في السلطة الآن، وتغيرت مواقفه، وتغيرت اهتماماته.**

□ هناك فارق كبير بين الوضع السابق والوضع الراهن، لكن علينا الدفع في هذا الاتجاه.

■ **مَنْ مِنَ الشخصيات العربية والعالمية التي عرفتها ترك أثراً عميقاً في فكرك أو سلوكك؟**

□ كثيرون، وأبرزهم عبد الناصر. التقيت عبد الناصر على الأقل عشر مرات في جلسات طويلة، كنت أحبه وأُجلّه وأقدره تقديراً لا حدود له. وقد رحت، وأنا أسجل مذكراتي، أتذكر الموضوعات التي ناقشناها (عبد الناصر وأنا) في كل لقاء.

■ **متى عرفت عبد الناصر أول مرة؟**

□ سنة ١٩٦٤ بعد الانفصال. كنت أزور القاهرة للاستجمام. اتصل بي سامي شرف ودعاني لمقابلة الرئيس. وخلال الحديث دعاني الرئيس إلى تناول العشاء معه. لقد تأثرت ببساطته وتواضعه.

ومن الشخصيات العربية التي تأثرت بها قسطنطين زريق؛ تأثرت بفكره الهادىء، وبعقلانيته التي كانت تحد من جموح حماستي، عندما كنت ألتقيه وهو رئيس الجامعة الأميركية في بيروت بالوكالة، وأنا مسؤول عن تنظيم برامج «العروة الوثقى». كما تأثرت بكتابات ساطع الحصري عن القومية العربية والأمة العربية، وبكتابات السيد محمد حسين فضل الله الذي يمثّل الإيمان الكبير والعقل الكبير أيضاً.

عالمياً، تأثرت بصمود كاسترو بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. وكما تعرف، كان الوضع الاقتصادي في كوبا يعتمد إلى حد كبير على السوفيات، ومع ذلك فقد صمد. التقيت كاسترو عدة مرات، وآخر مرة ذهبت فيها إلى كوبا زارني في بيت الضيافة. كما تأثرت بشخصية عمر بن الخطاب، وبشخصية علي بن أبي طالب.

■ **هل يقوم إعجابك على أساس شخصي، بصرف النظر عن النظام الذي يمثله هذا الزعيم أو ذاك؟**

□ يصعب الفصل. لكن شخصية عبد الناصر أو شخصية كاسترو تحوي، في حد ذاتها، إيجابيات كبيرة. أمّا على الصعيد الفكري، فقد تأثرت بكتابات ماركس ولينين وإنغلز وهيغل.

■ **كيف تنظر اليوم إلى المفاهيم التالية: الوحدة الوطنية الفلسطينية؟**

□ إنها ضرورة ملحة لمواجهة السرطان الصهيوني، شرط أن تقوم على أساس سياسي واضح، وعلى أساس ديمقراطي، وألاّ تكون تحت رحمة قيادة فردية.

■ **بين الداخل الفلسطيني والشتات، أم أنك تتحدث عن الخارج فقط؟**

□ كلا، إنني أتحدث عن الشعب الفلسطيني، وعن منظمة التحرير ككل.

■ **الوحدة العربية؟**

□ صار لديّ تصور آخر للوحدة العربية. فمع تعميق أيماني بضرورة وحدة الأمة العربية ككل، وأهمية ذلك لتحقيق شروط تحرير فلسطين، لا أنظر إلى الوحدة اليوم كمجرد شعار، ولا كما تمّت بين سورية ومصر، وإنما من خلال عملية التراكم والتكامل، كما ذكرت سابقاً، ومن خلال الوحدات الأصغر: وحدة مصر والسودان، وحدة المغرب، وحدة دول الهلال الخصيب، وحدة دول الخليج. لكن من الضروري التركيز على أهمية دور سورية فيما يتعلق بالقسم الآسيوي، وعلى أهمية دور مصر بالنسبة إلى القسم الإفريقي.

أمّا على صعيد التراكم، فإن خطوات على طريق الوحدة الاقتصادية أمر مهم، ودعم جامعة الدول العربية ودورها كحد أدنى من التنسيق العربي، مهم أيضاً. والوحدة يجب أن تتم كعملية تفاعلية من القاعدة والقمة في آن واحد.

■ **تحرير فلسطين؟**

□ الجديد في تفكيري على هذا الصعيد هو المرحلية: تحرير فلسطين هو الهدف، وبلوغه عملية تاريخية تُنجز على مراحل. واليهود الذين سيبقون في فلسطين سيكونون مواطنين فلسطينيين يعامَلون على قدم المساواة في ظل نظام ديمقراطي.

■ **الديمقراطية؟**

□ بالنسبة إلى تعريف الديمقراطية، أنا لا أهمل ما هو مكتوب في القاموس السياسي التقدمي. لكن علينا، بعد ذلك، أخذ الواقع

الملموس وتجاربنا بعين الاعتبار. وهنا عليّ أن أقول إننا فشلنا، وإن جزءاً كبيراً من مسؤولية هذا الفشل يعود إلى أننا لم نكن ديمقراطيين. والديمقراطية يجب فهمها بشمولية، في البيت والمدرسة والحزب والجمعية؛ إنها تعني الحوار واحترام الرأي الآخر، وتأسيس آليات وبنى تحولها إلى نظام حياة، وتشمل الاقتصاد والسياسة وتداول السلطة.. إلخ.

■ **الاشتراكية؟**

□ جوهر الاشتراكية ألاّ يقوم مجتمع على أساس الاستغلال. وفشل الأنظمة الاشتراكية لا يعني فشلاً للنظرية الاشتراكية. يجب أن نحث الأنظمة الاشتراكية، التي ما زالت قائمة، على دراسة الأسباب التي أدت إلى انهيار الاتحاد السوفياتي. ويجب أن يكون كل الاشتراكيين في العالم معنيين بدراسة أسباب فشل التجربة الاشتراكية الأولى.

■ **الجماهير، كمصطلح تعبوي، ألا يزال لها السحر نفسه؟**

□ الجماهير، من الناحية النظرية وبمفهوم الجدل، تمثل القطب التقدمي تاريخياً. في الجانب الآخر، تأتي الطبقات الحاكمة التي تثور الجماهير لانتزاع حقوقها منها. وعلى الصعيد القومي، قد تكون الجماهير التي تنتمي إلى أمة مستعمَرة ضد الأمة الأخرى المستعمِرة. لا يجوز التعامل مع موضوع الجماهير من دون رؤية حركتها الدائمة والتغيرات التي تحدث في بنيتها، حيث الحراك الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري والنفسي؛ وهي حركة

شاملة صعوداً وهبوطاً، إلى الأمام وإلى الخلف.

■ الإرهاب؟

□ يؤلمني فعلاً. وأنا إنسان حساس وعاطفي، وأصبحتَ تعرفني. يؤلمني أن الدولة التي قامت على الإرهاب هي التي تتحدث الآن عن الإرهاب. لماذا أنا هنا لا في اللد؟ لأنني طُردت من خلال الإرهاب. وما طرحته سورية معقول جداً، إذ دعت إلى مؤتمر دولي لتحديد وتعريف ما هو الإرهاب الذي يُستعمل اليوم للنيل من حركات التحرير.

■ كيف تلخص مسيرتك؟ أين أخطأت وأين أصبت؟ وما هو جدول أعمالك اليوم وغداً؟

□ إن الجبهة، في كل مؤتمر من مؤتمراتها، تقف أمام مسيرتها بين مؤتمرين وتحدد أخطاءها. وطبعاً كنت، بصفتي أميناً عاماً، أؤدي دوراً. بالتالي تستطيع القول إن هذه الأخطاء هي أخطائي في الوقت ذاته. هي أخطاء الجبهة، لكنها أخطائي أيضاً. لذلك تستطيع القول إنني اعترفت خلال هذه المسيرة بكل هذه الأخطاء التي وقعت حتى هذه اللحظة.

لكن عندما أفكر في سؤالك، يبدو لي أننا نقف أمام مسيرة القضية الفلسطينية منذ مئة عام. أي أنها ليست أخطاء هذا الشخص أو ذاك، إنها أخطاء العرب كلهم، وهزيمتنا جميعاً. لا بد من أن نقف أمام العوامل الخارجية التي ساهمت في هزيمتنا. لكن الأهم هو الوقوف أمام العوامل الذاتية، وتصحيح أخطاء القوى التي تعطي

الناس أملاً بالانتصار.

وهنا أعترف بأننا لم نستعمل عقلنا كما يجب. كنا نقاتل بسواعدنا أولاً، وبقلوبنا ثانياً، لأننا على حق. أمّا العقل فلم نستعمله بما فيه الكفاية. نادينا بالوحدة العربية، ولو أخذتَ نشرة «الرأي» التي كانت تصدر في دمشق لرأيت أن حركة القوميين العرب نادت بالوحدة، لكنها لم تقل كيف؟ ما هي العوائق؟ والأمر نفسه فيما يتعلق بموضوع فلسطين، وبكل القضايا الأُخرى.

■ ماذا عن جدول أعمالك؟

□ المؤتمر. أفكر فيه كثيراً. وأفكر في ألاّ أترشح لمنصب الأمين العام. سأبقى عضواً نشيطاً في الجبهة. في أية حال، هذه مسألة تعود لهيئات الجبهة الشعبية.

■ هل تعتقد أن المأزق الحالي للقضية العربية، وضمنها القضية الفلسطينية، مأزق فكري في الدرجة الأولى؟

□ نعم.

■ وبالتالي تطرح على نفسك مهمات في هذا الاتجاه؟

□ نعم. لو كنت الآن على رأس دولة من الدول العربية لجمعت المثقفين العرب، من مختلف الاتجاهات، وطلبت منهم دراسة هذه الأزمة. بعد ذلك، وفي ضوء دراساتهم، نقوم بالعمل السياسي.

■ ما هي الرسالة التي توجهها إلى الأجيال الصاعدة؟

□ في ضوء تجربتي مع الحياة، بحلوها ومرّها، فإن قناعتي راسخة

بأن التاريخ البشري تقدمي. أقول هذا بثقة وتفاؤل، على الرغم من كل الهزائم والإخفاقات. وعلى الرغم من الصراع المرير الذي يحكم العلاقة بين قوى التقدم وقوى الظلام، وبالذات في منطقتنا العربية، فسيكون المستقبل إلى جانب أمتنا. لكن التمني وحده، والحلم وحده، والأمل وحده، لن يحقق الأهداف ولن يأتي بالانتصار.

إنني على ثقة بأن أجيال شبابنا الصاعدة والمتتالية لن تحتاج إلى من يلقّنها ما يجب أن تفعله. فليس من حق أحد، فرداً أو حزباً، أن يصادر حقها في تحديد طموحاتها وأهدافها مسبقاً. هذه حقيقة، لكن تقف إلى جانبها حقيقة لا تقل أهمية، وهي أن حياة الأمم والشعوب وتاريخها ومستقبلها ليست سلسلة مفككة لا يربطها رابط، وإنما هي عملية تراكمية متواصلة. ومن لا يدرك تاريخه ويعيه لن يستطيع إدراك حاضره، وبالتالي مستقبله. من هنا أدعو شبابنا، أمل المستقبل، إلى أن يعي هذه الحقيقة، وأن يرتقي إلى مستوى التحديات والأسئلة.

إن أهم ما يمكن أن أنقله لهم هو خلاصة تجربتي، وما احتوته من دروس، سواء كانت دروس الإخفاق أو دروس النجاح.

عليهم أن ينطلقوا من حيث وصلنا، لا لتكرار تجربتنا وإنما بالاستناد إلى دروسها الثمينة كونها دروساً دُفعت أثمانها تضحيات ودماء غالية وعزيزة؛ وأن يجتهدوا ويجاهدوا لتخطي إخفاقاتنا وأسبابها، وهذا مشروط بامتلاك الوعي والعلم والمعرفة كأدوات من

دونها يستحيل التقدم؛ وأن يملكوا الثقة بالذات، وبالمستقبل، وبأن الهزائم لا تعني المساس بأهدافنا، فهي صحيحة وعلمية وعادلة وإنسانية إلى أبعد حد.

المسألة الأُخرى، ضرورة وعي الذات كما هي، عناصر قوتها وعناصر ضعفها، والعمل لاستثمار مكامن القوة بأعلى طاقة. يقابل ذلك ضرورة وعي العدو كما هو، كإمكانات وبُنى وفكر وأهداف وأسباب انتصار، وإدارة الصراع ضده بما يوازن معايير الصراع التاريخية. وهذا يستدعي استخدام العقل بكثافة، والحفاظ المستمر على إطلاق الفعالية الفكرية بصورة لا تتوقف، والانتباه لتغيّر معايير الأداء وأسباب القوة من مرحلة إلى أُخرى، الأمر الذي يفرض عملية التجديد المستمرة للعقل وللذات وللرؤية والممارسة ومناهج العمل والبُنى والأطر، سواء على صعيد الأفراد أو الأحزاب أو الشعوب.

وهذا، إضافة إلى ضرورة استثمار عامل الزمن بكثافة وعمق، فالزمن مفتوح لمن يملؤه بما هو مجدٍ.

وفي السياق نفسه تأتي أهمية وعي وإدراك أن الصراع مع عدو، كالصهيونية ـ وإسرائيل ـ والإمبريالية، هو صراع تاريخي مفتوح لن تختزله لحظات انكفاء عابرة. هذا الفهم يدفع عملياً نحو ضرورة إدارة الصراع بصورة شمولية، وبصورة يتساند ويتشابك فيها النضال التحرري القومي مع النضال الاجتماعي الديمقراطي.

هذا يعني وعي الديمقراطية كأداة للنهوض وقيم للسلوك والفكر والممارسة لتحرير المجتمع. فالديمقراطية، في حد ذاتها،

ليست هي الحل وإنما بوابة للحل. أمّا الحل فهو قوى المجتمع وحريته القادرة على تحديد الأهداف والطموحات والنضال من أجل تحقيقها.

ما تَقَدَّم يفتح الباب للاستفادة القصوى من طاقات المجتمع الشاملة في شتى الميادين. إن المهمات كبرى والتحديات جسيمة، وعلى شبابنا أن يشحذ عقله ويشمر عن ساعده ويندفع للعمل. عليه أن يتخطى أخطار التهميش والاستلاب والاغتراب، وأن ينمّي روح التمرد الإيجابي وتخطي نفسية الخضوع، وأن يجاهد لتحرير المرأة من كل ما يعوق تقدمها ويحد من مبادرتها وإبداعها، وأن يربط دائماً بين أصالته وضرورة امتلاك الحداثة وعدم وضعهما في مواجهة مميتة، وأن يجيد الإنتاج ليصبح جديراً بالاستهلاك؛ إنتاج الفكر والمعرفة والحضارة، والإنتاج المادي بمختلف ميادينه. وآمل، ضمن هذا السياق، ألاّ يشكل فشل الأحزاب وقساوة الهزائم قوة تدمير لروح الانتظام والانتماء لدى شبابنا.

فلا مجال للتقدم ومضاعفة الفعل من دون الانتظام الواسع ضمن أحزاب ومؤسسات ونقابات وجمعيات ونواد، للارتقاء بالانتظام الاجتماعي إلى مستوى التوحيد الشامل للطاقات، وتقليص هدرها وتوجيهها ضمن رؤية استراتيجية شاملة.

إن على شبابنا الذين ولدوا في عصر الدولة القطرية واجب العمل لتوحيد أمتهم، بعد أن ثبت بالملموس وبالتجربة أن التمزيق القطري ولّد ديناميات ثقافية واقتصادية ونفسية تعمّق الانقسام.

فالبعد القومي للفرد وللجماعة مكوّن أصيل لمواجهة رياح التشويه القطري، ولتحتل أمتنا مكانها اللائق بين الأمم.

في النهاية أقول إن جيلنا حاول أن يقوم بواجبه بصورة جيدة، أو أقل، أو سيئة. وبالتأكيد كان في إمكانه أن يعمل أفضل، وأن يعطي أفضل، وكان في قدرته أن يتخطى بعض الأخطاء الكبيرة. لكن هذا ما حدث، ونحن مستعدون لتحمل مسؤوليتنا وتحمل محاكمة الشعب والتاريخ مهما تكن قاسية. فالهدف في النهاية ليس حماية الرأس، وإنما عدم تبديد خبرة أعوام وعقود وتضحيات لا يمكن تعويضها.

بالتأكيد لا يمكن إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء، لكن بالتأكيد في إمكاننا ألاّ نجعل خبرة الماضي تذهب سدى، أو تضيع في غمرة الانفعال أو التدمير المرضي للتاريخ. إن صفحات التاريخ مفتوحة لمن يملك الإرادة والقدرة على دخولها والحفاظ على شروط الاستمرار فيها، وعلى صفحاتها المشرقة والمتقدمة. وكلي أمل بأن يكون مستقبل أجيالنا وأولادنا وأحفادنا أفضل من واقعنا؛ فهذا يسعدني إلى أبعد الحدود.

كان الدكتور جورج حبش في صلب
التحولات التي شهدتها الحركة الفكرية
والتجربة النضالية العربية طوال خمسين
عاماً تنطوي قبيل نهاية هذا القرن. عروبي
شديد الالتصاق بفلسطينيته، وفلسطيني
شديد الالتصاق بعروبته، هو جورج حبش
من "حركة القوميين العرب" إلى "الجبهة
الشعبية لتحرير فلسطين". وهو في هذا
الحوار يناقش ويراجع ويقوّم المسيرة،
ويتوقف أمام الأخطاء والثغرات والأسئلة
الصعبة لاستخلاص الدروس وتحديد
ملامح المرحلة المقبلة.

$ 3.00